الحالة الاجتماعية

في العراق

في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة

تاليف

الدكتورة

مليحة رحمة الله

بغداد - العراق

١٩٧٠

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مطبعة الزهراء - بغداد

١٠٠٠ / ٤ / ١٩٧٠

الحالة الاجتماعية

في العراق

في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة

تاليف

الدكتورة

مليحة رحمة الله

بكالوريوس (جامعة بغداد)، ماجستير في التاريخ الاسلامي (جامعة بنسلفانيا)، دكتوراه في التاريخ الاسلامي (جامعة القاهرة)، استاذة التاريخ الاسلامي (كلية الآداب، جامعة بغداد)

بغداد - العراق

١٩٧٠

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مطبعة الزهراء - بغداد

رسالة الدكتوراه بتقدير الشرف الاولى · كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٨

الى :

أبي ...

وأمي ...

وزوجي ...

فهرست

تصدير الكتاب

يسرني ان اقدم الى قراء العربية رسالة عن الحياة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، تناولت الباحثة موضوعها في اربعة ابواب · بحثت في الباب الاول عناصر السكان في العراق واثرها في الحيـاة الاجتماعية ، فتحدثت عن تزايد عدد الاتراك في القرن الثالث الهجـرى ، وبينت ما كان لهذا العنصر من اثر بالغ في المجتمع العراقى ، ثم تحدثت عن العنصر الفارسى وعودته الى السيادة والسيطرة ممثلا في بنى بويه · واهتمت الى جانب ذلك بابراز اثار هذا العنصر على مظاهر الحياة الاجتماعية ، كمـا عنيت بتوضيح موقف العنصر العربى ، وبينت كيف احتفظ بتقاليده على الرغم من فقده كثيرا من نفوذه ومكانته · وعرضت لعنصرى الروم والزنج وشرحت مدى تأثيرهما في بلاد العراق · واهتمت بالتحدث عن الرقيق على اختلاف انواعه والاثار الاجتماعية التى ترتبت على تكاثر الارقاء · وخصت الباحثة الطوائف الدينية بكثير من اهتمامها كالاشراف وأهل الذمة ، ووضحت الاعمال التى اختص بها افراد كل طائفة من هذه الطوائف · وافردت الى جانب ما تقدم فصلا ممتعا عن الطوائف المهنية كالعلماء والتجار وارباب الحرف والعامة ، ووضحت خصائص كل طائفة ومستوى معيشتهم ومكانة كل منها في المجتمع العراقى ·

وفي الباب الثانى وجهت الباحثة اهتمامها الى دراسة مظاهر البذخ والترف عند الخلفاء وكبار رجال الدولة ، فأثارت الى حرص الخلفاء عـلى تشييد القصور وما تبع ذلك من اقتداء الامراء والوزراء ورجالات الـدولة بهم حتى عمرت كل من بغداد وسامراء بالمبانى الفخمة ، وابرزت مظاهر الترف وابهه الحياة الاجتماعية التى تجلت في قصور الخلفاء والامراء ، وبينت ما كان لترف وبذخ الخلفاء وكبار رجال الدولة من آثار اجتماعية منهـا : التفاوت الطبقى بين الخلفاء واتباعهم ، وبين غيرهم من سائر افراد الشعب ·

وفي الباب الثالث ، تناولت الباحثة موضوع الغناء والموسيقى والمجالس الاجتماعية ، فتحدثت عن تطور الغناء في العصر العباسى الاول ، وارجعت ذلك التطور الى تأثر العباسيين بالفرس والروم وتكاثر عـدد الجـوارى واشتغال بعضهم بالغناء والموسيقى · ثم تكلمت على مجالس الطرب والغناء

في قصور الخلفاء ورجالات الدولة وما كان يراعى فيها من جلوس الندماء والمغنين والموسيقيين حسب مراتبهم • وخصت الباحثة المجالس الاجتماعية بكثير من اهتمامها ، فافردت لمجالس القصاص فصلا ، تحدثت فيه عـــن ظهور هذه المجالس في صدر الاسلام والتطورات التى طرأت عليهـــا في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة • كما تناولت في فصل اخر الحديث عن مجالس الوعاظ ، واشارت الى احتفاظ هذه المجالس بسمعتها الطيبة طيلة القرنين الاول والثانى بعد الهجرة • وبينت كيف انحرف بعض الوعاظ عن اداء مهامهم في القرن الرابع الهجرى ، وما كان لذلك من اثر في ضعف قيمة الوعاظ الثقافية والاجتماعية •

وفي الباب الرابع بذلت الباحثة جهدا واضحا في دراسة الحياة العامة في مدن العراق • فتحدثت عن العادات والاخلاق ، ونوهت بما كان هناك من عادات مألوفة وغيرها مرذولة ، وانتقلت من ذلك الى توضيح المظهر الاسلامى الذى تجلى في اجمل صورة عند الاحتفال بالاعياد والمواسم الدينية • ثم تكلمت على المرأة واثرها في المجتمع • فبينت ما كانت تتميز في قصور الخلفاء عن غيرها من سائر افراد الشعب • وعرضت لبعض النســـاء اللاتى برزن في دراسة الحديث ، واتجاه بعض المثقفات في القرنين الثالث والرابع بعـــد الهجرة الى حياة الزهد والتصوف ، وانتهت في دراستها عن المرأة في ذلك العهد الى ان منزلتها لم تكن تبعث على الارتياح بسبب انتشار الجوارى في القصور والدور •

ولاشك ان المؤلفة بحثت موضوعا جديدا عن موضوعات الحضارة الاسلامية في الشرق ، واستطاعت بما بذلته من مجهود في جمع مادته التاريخية وصياغته في اسلوب يتميز بالوضوح ان تلقى اضواء على حقيقة المجتمـــع العراقى خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة •

القاهرة في ١٩٦٩/٤/١٢

دكتور محمد جمال الدين سرور
استاذ التاريخ الاسلامى بكلية الاداب
جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

نعتقد ان دراسة الحالة الاجتماعية بكل وجوهها لاية بيئة أو مجتمع من العالم يمكن ان تعكس بصورة واضحة مدى نهضة هذه البيئة او هـــذا المجتمع ومركزه في حينه بين المجتمعات والحواضر الاخرى ، ولذلك فقــد أولت المؤسسات والجامعات العلمية الشهيرة المعاصرة عنايتها البالغة في دراسة الاحوال الاجتماعية للبيئات المختلفة ، ودفعت العاملين فيهـــا من الباحثين والمنقبين الى تسجيل الوقائع والمظاهر الاجتماعية تسجيلا شاملا يحيط بكل عناصرها وخصائصها بدقة وأمانة وانتباه وتجرد ٠٠٠ ليمكن بالتالى اعطاء صورة حقيقية واضحة عن مركز وقيمة المجتمعـات والبيئـــات التى يراد تاريخها ٠

وقد رأيت وأنا في سبيل اعداد رسالة علمية لها وزنها ٠٠ ان أجعـل من الحالة الاجتماعية ــ نظرا لما رأيناه من اهميتها في الدراسات التاريخية الحديثة ــ موضوعا ومادة لهذه الرسالة ، وأن أجعل من الفترة التاريخيـة الواقعة بين القرنين الثالث والرابع للهجرة في العراق ظرفا لها ٠٠ وذلك لكون هذه الفترة هى من أحفل وأخطر الفترات التاريخية التى مر بها العراق من عهد بنى العباس من حيث أحداثها وآثارها ٠

ولكن بالرغم مما رأيناه من أهمية هذه الدراسات القائمة على تحليل واستقصاء الحالات الاجتماعية للحواضر والهيئات المختلفة ، وما يمكن ان تعطيـه هذه الدراسات من صورة واقعية أو قريبة من الواقع عن قيمة ومركز هذه الحواضر ، فان الذى يلاحظ ان مصادرنا التاريخية عن تلك الفترة وما لحقها او سبقها من الفترات قد جاءت شحيحة في ذكر الوقائع والمظاهر التى تعكس الحالة الاجتماعية السائدة آنئذ في العراق ، وذلك لانها اتجهت الى جعل الجانب السياسى وحده وما رافقه من وقائع وحروب واحداث مادة حديثها وكتاباتها الرئيسة عن تلك الفترات ٠

الا ان شحة المعلومات في هذه المصادر التاريخية لم تثننا في الواقع عن المضى في مهمتنا في موضوع هذه الرسالة ، وانما عمدنا الى الاستعانة بمصادر المعرفة الاخرى وان كانت اشتاتا لنتخلص منها مضافا الى المعلومات الواردة في تلك المصادر التاريخية لهذه المادة التى بين أيديكم والتى ابينــــا الا ان نتفرغ كل جهدنا ووقتنا في سبيل اعدادها واخراجها بهذا الشكل الذى لا أملك انا تقديره !!

ونظرة بسيطة الى قائمة المصادر المثبتة في ذيل هذه الاطروحة كفيلة بان تعكس لكم مدى الجهود التى بذلت في هذا السبيل والتى وزعت بين شتى مصادر العلوم والاداب والفنون ·

هذا وقد رأينا تقسيم هذه الرسالة الى أربعة ابواب تكلمنا في الباب الاول منها عن « عناصر السكان في العراق وأثرها في الحياة الاجتماعية » ·· بما فيها من عناصر جنسية وطوائف دينية واخرى مهنية ·

وتكلمنا في الباب الثانى عن مظاهر البذخ والترف عند الخلفاء وكبار رجال الدولة وعن أثر هذه المظاهر في كيان المجتمع العراقى السائد آنذاك ·

اما الباب الثالث فقد خصصناه في البحث عن الموسيقى والغناء ، وعن المجالس الاجتماعية القصصية والوعظية منها ، وما الى ذلك من مظاهر الترف الفـكرى ·

وفي الباب الرابع والاخير استطعنا ان نتحدث بشيء من الاسهاب من مظاهر الحياة العامة في المدن العراقية آنذاك امثال العادات والاخلاق وأمثال الاعياد والمواسم وما اليها من المظاهر العامة المتنوعة ·

ولا يفوتنا بعد ذلك ان نقدم بهذه المناسبة عميق شكرنا وتقـديرنا لاستاذنا الدكتور محمد جمال الدين سرور استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة على ما تفضل به من الاشراف على هذه الرسالة اشرافا أخذ فيه من وقته وجهده الشيء الواسع الكثير · كما نود ان نعرب عن بالغ تقـديرنا للاساتذة الذين ابدوا ملاحظاتهم واسهموا بمساعدات قيمة في هذا السبيل وكذلك للمشرفات على مكتبة كلية البنات ومعهد الدراسات العليا ·

والله تعالى نسأل ان يأخذ بأيدينا لما فيه الخير والسداد ·

مليحة محمد رحمة الله

البَابُ الأَوَّل

عناصر السكان في العراق وأثرها في الحياة الاجتماعية

١ ـ العناصر الجنسية .

٢ ـ الطوائف الدينية .

٣ ـ طبقات المجتمع العراقى .

الباب الأوّل

عناصر السكان في العراق وأثرها في الحياة الاجتماعية

١ ــ العناصر الجنسية

كان لموقع العراق الجغرافي والطبيعى اثره الكبير على السكنى فيه من قبل عناصر واجناس مختلفة على مر السنين ، وقد كان في العراق ابان الفتح الاسلامي بجانب العرب اعداد هائلة من الفرس تسكنه ، وفي اواخر العهد الاموى استعان العباسيون بالفرس في انتزاع الحكم من الامويين والسيطرة عليه ، مما ادى الى رفع مكانة الفرس في المجتمع العـراقى ونفـوذهم طيلة القرن الثانى للهجرة •

أما في القرنين الثالث والرابع فقد احتل الاتراك مـكانة الفـــرس في المجتمع ، وسيطروا في هذه الفترة سيطرة تامة ، مما جعل اثرهم في المجتمع العراقى في القرنين الثالث والرابع للهجرة ابلغ من أى عنصر آخر •

ومن هنا كان علينا ان نبدأ الحديث ــ ونحن نتحدث عن العناصـر الجنسية في المجتمع العراقى للقرنين الثالث والرابع الهجرى ــ عن :

أ ـ الاتراك :

ظهر الاتراك باعداد كبيرة في المجتمع العباسي لاول مرة في أواخر القرن الثاني الهجرى ، وذلك في عهد المأمون ، فقد استقدمهم أخوه المعتصم حين كان أميرا(١) ، من سمرقند وفرغانة وأشروسنة والصغد والشاش(٢). وأخذ عدد الاتراك في الازدياد منذ بداية القرن الثالث الهجرى ، فكون منهم المعتصم جيشا منظما اعتمد عليه في خلافته . يقول أبو المحاسن(٣) : ان المعتصم ألبس غلمان الاتراك الديباج ومناطق الذهب ، وأمعن في شرائهم سنة عشرين ومائتين ، حتى سيطروا تدريجيا على جهاز الدولة ، فبرز منهم قواد اشتهروا بشجاعتهم وقوة شوكتهم ، أمثال الافشين وأشناس وبغا ووصيف وايتاخ(٤) ، وغيرهم من القواد .

هناك عوامل حملت المعتصم على استخدام الاتراك والاعتماد عليهم ، منها طموح الفرس الذين اعتبروا انتصار العرب عليهم تحديا لعظمتهم ومجدهم ، فاستعادوا نفوذهم في العصر العباسى الاول حتى بداية القرن الثالث الهجرى حيث تولى المعتصم الخلافة ، فاستقدم الاتراك وجعل منهم قوة

---

(١) اليعقوبي ـ البلدان ص٢٣ .

(٢) المسعودى ـ مروج الذهب جـ٤ ص٩ .

K. A. C. Creswell. a shout acount of early Muslim. Areaiture C. 259.

(٣) النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٣٣ .

الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك جـ٧ ص٢٣٤ .

المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص٩ .

(٤) اليعقوبى ـ تأريخ ج٢ ص٥٧٥ .

عسكرية للدولة . ليحفظ التوازن بين العناصر الثلاثة في الجيش ، العرب والفرس والاتراك . وفضلا عن ذلك فقد رأى المعتصم ان كثيرا من جند الفرس يتعصب للعباس بن المأمون ، ويعمل على توليته الخلافة[٥] .

وهناك عامل آخر حمل المعتصم على استخدام الاتراك وهو كون امه تركية . مما اثر في طباعه وحمله على حب الاتراك وتقريبهم[٦] وقد وصف الجاحظ الاتراك في رسالته « مناقب الترك »[٧] بأنهم (بدو العجم) وانهم يتميزون بقدرتهم على تحمل المتاعب . كما اتصفوا بالشجاعة والقوة[٨] والطاعة في خدمة قوادهم[٩] . ولم يكن العنصر التركى على وفاق مع العناصر الاخرى ، فقد قام النزاع بينه وبين كل من الفرس والعرب مما ادى الى حدوث بعض الاضطرابات في الدولة ، فأظهر اهال بغداد استياءهم من تصرفات الاتراك الذين استقدمهم المعتصم ، يقول الطبرى[١٠] ، « كانوا عجما حفاة يركبون الدواب فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة ويطأون الصبى فيأخذهم الابناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم ، فربما هلك من الجراح بعضهم فشكت الناس ذلك الى

---

(٥) ابن قتيبة ـ المعارف ص٣٩٢ .

(٦) المسعودى ـ التنبيه والاشراف ص٣٠٦ .

(٧) رسائل الجاحظ ص٦٢ وما يليها .

(٨) ابن حسول ـ تفضيل الاتراك ص٤٠ .

(٩) الاصطخرى ـ المسالك والممالك ص٢٩١ـ٢٩٤ .

(١٠) تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٢٣٢ .

المعتصم وتأذت بهم العامة » • فأضطر المعتصم الى انشاء مدينة سامراء واتخاذها حاضرة لخلافته سنة ٢٢١هـ[١١] •

وقد أقام الاتراك بعيدا عن الاسواق ومنعهم المعتصم من الاختلاط بالناس ، فاشترى لهم جوارى تركيات ، وزوجهم بهن ومنعهم من التزاوج مع المولدين ، وأجرى لهم رواتب خاصة[١٢] • ثم اصبحوا خطرا على الفرس والعرب بعد ان ازداد نفوذهم في الدولة ، مما دفع عجيفا القائد العربى الى القيام بثورة ضد المعتصم[١٣] •

وقد ازدادت شوكة الاتراك في أوائل القرن الثالث الهجرى ، حتى اضطر الخليفة المتوكل الى الرحيل من حاضرة خلافته سامراء الى دمشق[١٤] ثم قتل على أيديهم[١٥] • وكان اول خليفة عباسي يقتل على أيدي الاتراك • يقول صاحب الفخرى[١٦] « كان الخليفة في يدهم كالاسير ان شاءوا أبقوه ، وان شاءوا خلعوه ، وان شاءوا قتلوه » • وقد روى ان المعتز لما جلس على سرير الخلافة ، قعد خواصه واحضروا المنجمين والاتراك في مجلسه ، وقالوا لهم : انظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة ؟ _ وكان بالمجلس

---

(١١) ابن طباطبا _ الفخرى في الآداب السلطانية ص٢١٢ •
(١٢) اليعقوبى _ البلدان ص٢٣ •
(١٣) الطبرى _ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٢٨١ •
(١٤) الطبرى _ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٨١ •
(١٥) ابي البسام الفاطمي _ النبراس ص٨٤ •
ابن العبرى _ تاريخ مختصر الدول ص٢٤٨ •
(١٦) ابن طباطبا _ الفخرى في الآداب السلطانية ص٢٢٠ •

بعض الظرفاء ـ ، فقال : أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته ، فقالوا له : فكم تقول انه يعيش وكم يملك قال : مهما اراد الاتراك ، فلم يبق أحد في المجلس الا وضحك(١٧) .

وكان للعنصر التركى تأثير بالغ في احوال الدولة الداخلية ، فمصادرة أموال الناس ازدادت في عهدهم ، ففى عهد المتوكل صودرت أموال الوزير محمد بن عبدالملك الزيات وغيره من كبار رجال الدولة(١٨) . وصارت المصادرات مصدرا يعول عليه وقت الحاجة . وكان جند الاتراك يحاولون جمع الاموال عن طريق آخر غير المصادرات ، وهو مطالبتهم الخلفاء بزيادة أرزاقهم ورواتبهم ، وقد أدت تلك الحالة الى أثارة الاضطرابات في الدولة(١٩) . وكثيرا ما كان الاتراك يثيرون النزاع الطائفي بين السنة والشيعة ، فقد تعصبوا للمذهب السني ، بينما كان الديالمة يدينون بالمذهب الشيعي ، مما ادى الى حدوث منازعات عنيفة بين الفريقين(٢٠) .

وكان هناك الى جانب الجند الاتراك ، الجوارى التركيات اللاتى

---

(١٧) ابن طباطبا ـ الفخرى في الآداب السلطانية ص٢٢٠ .

(١٨) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص٧ .
الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٤٧ـ٣٤٨ .
ابن مسكويه ـ تجارب لامم ج٢ ص٧ و ١٧ .

(١٩) الصولى ـ الاوراق ص١٢٠ ، ١٣٣ ، ٢٧٧ .

(٢٠) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١ ص١٠٩ .
ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص١٤٥ .
ابن الجوزى ـ المنتظر ج٧ ص٦٨ .

اشتهرن بجمالهن ، يقول ابن بطلان[٢١] : « إن التركيات قد جمعن الحسن والبياض ، ووجوهن مائلة الى الجهامة ، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة ، وقد يوجد فيهن السمراء الاسيلة ، وقدودها ما بين الربع والقصر ، والطول فيهن قليل ، ومليحتهن غاية ، وهن كنوز الاولاد ، ومعادن النسل » وكانت قصور الخلفاء والامراء والعظماء تأوى الكثير من الجوارى ، بل ان بعض الخلفاء وكبار رجال الدولة ، اتخذوا الجوارى التركيات زوجات لهم[٢٢] • وكان للجوارى تأثير كبير في الحياة الاجتماعية ، فقد نشرن فن التجميل وابتكار الازياء في المجتمع العراقى عامة، والبغدادى خاصة[٢٣]• فضلا عن اهتمامهن بالتأنق في الملبس والطعام والشراب[٢٤] • والاعتناء بالنظافة واللياقة •

ب ـ العنصر الفارسي :

تغلغل هذا العنصر في المجتمع العباسى ، منذ قيام دعاة العباسيين بنشر دعوتهم في اواخر العهد الاموى • وقد جنى كل من العرب والفرس فوائد كثيرة ، من جراء اختلاطهم ببعض ، فالعرب لهم قابلية التعلم السريع ، اما الفرس فهم اصحاب حضارة قديمة موروثة ، فأخذ العرب النظم ومختلف العلوم من الفرس ، ويعتبر العصر العباسى الاول فترة استقرار وهدوء وتطور في الحضارة وبخاصة في عهد المأمون ، وظل الحال على ذلك ، حتى جاء القرن

---

(٢١) أنظر أحمد أمين ـ ظهر الاسلام ج١ ص٣٥ •

(٢٢) عبدالرحمن الاربلى ـ الذهب المسبوك ص٢٢١ ، ٢٣٧ •

(٢٣) أحمد ممدوح حمدى ـ معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى ص٨ •

(٢٤) ابى الطيب محمد بن اسحق الوشاء ـ الموشى ص١٦٢ـ١٦٤ •

الثالث الهجرى ، فازداد نفوذ العنصر التركى ، وضعف شـأن العنصر الفارسى ، وحدث اصطدام بين هذين العنصرين من جهـة ، وبينهمـا وبين العرب من جهة اخرى • ولا ننسى ان الفرس على الرغم من تمتعهم ببعض الامتيازات ، وتقلدهم المناصب الكبرى في الدولة العباسية ، الا انهم لم ينسوا ان العرب ازالوا مجدهم السابق ، فأخذوا يدبرون المؤامرات ضدهم ، وظهر ذلك في القرنين الثانى والثالث بعد الهجرة(٢٥) • غير ان الاتراك ظلوا على امور الدولة ، حتى مستهل القرن الرابع حيث عاد الفرس مرة أخرى الى السيادة والسيطرة ، ممثلين في بني بويه(٢٦) الذين استأثروا بالنفـوذ في العراق في القرن الرابع الهجرى(٢٧) • واشتدت شوكتهم ، واتسع نفوذهم، حتى اقاموا امارة وراثية في حاضرة الخلافة العبـاسية ، واصبحت الامور بأيديهم ، حتى صاروا يعينون كاتبا للخليفة يشرف على ضياعه وأملاكه(٢٨)•

أما أثر الفرس في المجتمع ، فكان واسعا وظاهرا ، اذ ابتدأ منذ قيـام الدولة العباسية في مستهل القرن الثانى الهجرى كما تقدم ، وتجلى في عدة نواح منها بناء القصور ، وابتكار الازياء ، وتعدد انواع الطعام ، وادخال جميع وسائل الترف والبذخ في المجتمع العراقى • وعلى الرغم من سـيطرة الاتراك في القرن الثالث الهجرى ، وضعف نفوذ الفرس ، الا ان آثار الفرس على الحياة الاجتماعية ، كانت واضحة ومستمرة ، فقد استمر اغلب الخلفاء

---

(٢٥) كانت متمثلة في حركات الشعوبية والزندقة •

(٢٦) الاربلي ـ الذهب المسبوك ص٢٤٥ •

(٢٧) ابن طباطبا ـ الفخرى في الآداب السلطانية ص٢٥٧ •

(٢٨) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٦ ص٣١٥ •

في حياة البذخ والترف ، وبناء القصور ، وزخرفتها وتأثيثها بأفخر الأثاث[٢٩] واحياء المجالس الغنائية ، ومجالس الشراب ، كما كان يفعل الفرس • وفي العهد البويهى الفارسى ، كانت مظاهر تأثير الفن الفارسى في البناء ، واضحة في قصورهم[٣٠] • وكان التأثير الفارسى ظاهرا ايضا في الملابس ، فالقلانس ، والاقبية ، والسراويل ، والجوارب ، وغيرها من الالبسة التى انتشرت في المجتمع العباسى ، في القرنين الثالث والرابع ، ماهى الا ألبسة فارسية الاصل ، انتقلت الى العراق في القرن الثانى ، منذ عهد المنصور[٣١] كما تجلى التأثير الفارسى في أزياء النساء ، من استعمال الحلى والمجوهرات ، والاحزمة ، والنقش على الاردية والعصائب[٣٢] • وتجلى ايضا ، في أدوات الطعام ، التى كانت تستخدم في موائد الخلفاء[٣٣] والوزراء[٣٤] ، وكانت مصنوعة من الذهب والفضة[٣٥] والبلور[٣٦] • هذا وكان للجوارى الفارسيات ، تأثير كبير في المجتمع العراقى – كما كان

---

(٢٩) أحمد موسى – الفن الاسلامي ص٣٩ •

(٣٠) كورنل ارتيس – الفن الاسلامى ص٣٥ •

(٣١) الطبرى – تاريخ الامم والملوك ج٦ ص٢٩٦ •

(٣٢) ابن عبد ربه – العقد الفريد ج٨ ص١٣٥ •

(٣٣) عريب – صلة الطبرى ص١٢٨ •
التنوخي – نشوار المحاضرة ج١ ص١٤٤–١٤٦ •

(٣٤) هلال بن الصابي – الوزراء ص ٢١٥–٢١٦ •

(٣٥) الغزالى – احياء العلوم ج٢ ص١٦ •

(٣٦) الثعالبى – يتيمة الدهر ج٢ ص٣٧٧ •
أحمد أمين – ظهر الاسلام ج١ ص١٠٤ •

للجوارى التركيات ـ فنشرن انواعا من الالبسة ، كما ادخلن صورا مـن التزين لم تكن ملحوظة من قبل .

وكان للعنصر الفارسى ، أثر كبير في اهتمام الخلفاء العباسيين ، ورجال دولتهم بالاحتفال بعيدي النوروز والمهرجان ، وهما من الاعياد الفارسية(٣٧) وقد استمر الاحتفال بهذين العيدين ، خلال القرنين الثالث والرابع بعـد الهجرة .

وكان للبويهين تأثير بارز في المجتمع العراقى ، وبخاصة فيما يتعـلق بالاحتفالات ببعض المواسم الدينية(٣٨) ، ذلك ان البويهيين كانوا من الشيعة الزيدية ، ومن ثم حرصوا على اظهار تشيعهم في بعض الاحتفالات ، وبخاصة مقتل الحسين ، في اليوم العاشر من المحرم الذى كان يعتبر يوم حزن عام ، تعطل فيه الاسواق(٣٩) كما نراهم يقيمون الافراح في عيد (غدير خم) ، الذى يوافق اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة (٤٠) وكان يحدث من جراء هذه المظاهر التى تسود الاحتفال بهذا العيد ، وبيوم ذكرى مقتل الامام الحسين ، كثير من الاضطرابات في بغداد ، سببها الخلاف بين أهل السنة والشيعة(٤١) .

---

(٣٧) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤٢٠ .

(٣٨) ابن ابي اصيبعة ـ طبقات الاطباء ص٢٠٧ .
الثعالبى ـ يتيمة الدهر ج٢ ص٢٨١ .

(٣٩) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٦ ص٧ .
السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص١٦١ .

(٤٠) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤٢٢ .

(٤١) ابن مسكويه ـ تجارب الامم ج٢ ص٣٠٦ .
ابن الجوزى ـ المنتظم ج٦ ص٦٠ .

ج ـ العنصر العربي :

اصبح الفرس في العصر العباسى الاول ، اصحاب السيادة والنفوذ ، على حين أخذ العنصر العربى ، يفقد كثيرا من امتيازاته ، باقصائه عن مناصب الدولة والجيش ، فأبو جعفر المنصور ومن جاء بعده من الخلفاء ، كانوا لا يثقون بالعرب ولا يعتمدونهم ، الامر الذى اوجب ان يفقد العرب مكانتهم ازاء الفرس تدريجيا ، غير ان العرب لم يلتزموا جانب الهدوء امام خلفاء بني العباس ، بل قاموا بمحاولات عديدة لمقاومة الفرس •

وفي بداية القرن الثالث الهجرى ، ظهر العنصر التركى ، عندما تولى المعتصم الخلافة[٤٢] ولم يلبث ان ازدادت سطوته ، مما أدى الى تذمر العرب ، حيث قام قوادهم بثورة ضد المعتصم ، وعلى رأسهم عجيف بن عنبسة[٤٣] الذى ابعده الخليفة المعتصم مع عدد من قواد العرب عن الجيش ، وأحل الاتراك مكانهم • وازاء ذلك اشتدت نقمة العرب ، حيث تمردت بعض القبائل العربية ، في اطراف جزيرة العرب سنة **٢٣١هـ**[٤٤] ، كما تمرد بعض الاعراب ، في عهد المعتضد في شمال العراق[٤٥] •

وفي القرن الرابع ، هاجرت عدة قبائل الى العراق ، وكانت تشكل خطرا على الحكم المركزى[٤٦] •

---

(٤٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ •

(٤٣) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٢٢٥ •

(٤٤) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٢٤ـ٣٣١ •

(٤٥) ابن العبرى ـ تاريخ مختصر الدول ص٢٦١ •

من ذلك يتضح ان العرب في العراق ، لعبوا دورا كبيرا في المجتمع العراقى • وكانوا على نوعين : البدو الذين نزحوا اليها من الجزيرة ، وهؤلاء يحملون روح البداوة من تقاليد وعصبية قبلية ، وكانوا مصدرا للفوضى والاضطرابات ، فكثيرا ما يغيرون على أهل المدن ، كقبائل شيبان(٤٧) وقبائل المنتفك(٤٨) في جنوب العراق سنة ٣٧٨هـ • وقبائل بني عقيل ، وفزازة(٤٩) وغيرهم من القبائل الرحل • وهؤلاء كان لهم أثر سيء في الحياة الاجتماعية ، بنشرهم الرعب والفساد والاضطرابات عن طريق الغارات • فكثيرا ما خربوا مدنا كبيرة ، والحقوا بها خسائر مادية ومعنوية فالكوفة خربتها بنو خفاجة(٥٠) اما النوع الثانى من العرب ، فهم المتحضرون سكان المدن ، وهؤلاء يشكلون دولة بنى حمدان في الموصل • وكان لهذه الدولة تأثيرها الكبير ، في بقاء العنصر العربى ، في المجتمع العباسى الذى تغلب عليه العنصران التركى والفارسى ، ومن العرب المتحضرين ايضا ، سكان مدينة البصرة والكوفة وبغداد مقر الخلافة العباسية •

وعلى الرغم من ضعف نفوذ العنصر العربى ، في القرنين الثالث والرابع ، الا انهم ظلوا محتفظين بالتقاليد العربية • فالعنصر العربى ، هو

---

(٤٦) الصولى ـ الاوراق ص٢١٥ و ٤٤٥ •

(٤٧) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص٩٩ •
ابن حوقل ـ صورة الارض ص ٢٠٥ •

(٤٨) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص١٣٦ •

(٤٩) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص ٣٢٤ـ٣٣١ •

(٥٠) ابن جبير ـ الرحلة ص٢١١ •

الذى حافظ على عدم تفشى الفساد في المجتمع ، خاصة وان المرأة العربية ، لم تنزل الى مستوى الجوارى الاجنبيات ، اذ كانت محافظة علــى كيانهــا وشرفها وعزها ، وكان لموقف رجال العرب المتدينين ، والنساء المتصوفات ، اثره الكبير في الحد من تفشى الفساد ، وفي الدعوة الى التمســك بمبادىء الدين الحنيف(٥١) • كما وقف العرب بصلابة ، في وجه الزندقة وفي وجه الشعوبية(٥٢) في القرنين الثانى والثالث بعــد الهجــرة ، اللذين كانتــا تشكلان خطرا كبيرا على العرب • ولا ننسى دور طبقة الاشــراف ، الذين كانوا يمثلون العباسيين والطالبيين ، في بقاء الصبغة والروح العربيــة ، في المجتمع العباسى خلال القرنين الثالث والرابع ، على الرغم من ازدياد نفوذ الاتراك والديالمة ، آنذاك •

د ـ الــروم :

كثر عدد الروم في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، فقد جيء بهم كأسرى حرب من اراضى الدولة البزنطية ، واعتبروا من الرقيق الابيض ، وكثر عدد المماليك الروم من رجال ونساء وغلمــان ، في بيــوت الخلفــاء والاغنياء • وقد أسكن الخليفة المهدى العباسى ، اسرى الحرب من الروم ، في منطقة الشماسية في شمال بغداد ، فأقاموا في ذلك الموضع ، وشيدوا كنيسة لهم ، عرفت (بدار الروم)(٥٣) وقد تعرضت هذه الدار للخــراب ، في

---

(٥١) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٦ ص٣١٥ •
ابن الجوزى ـ صفة الصفوة ج٢ ص ٢٩٣ •

(٥٢) هاملتون جب ـ دراسات في الحضارة الاسلامية ص٨٢ •

(٥٣) ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ج٢ ص٦٦٢ (ليدن ١٨٦٦ـ١٨٧٣)

حصار بغداد الثانى في القرن الثالث الهجرى ، وكانت مزدحمة بالسكان[٥٤]. وفي القرن الرابع ازداد عدد اسرى الروم ، نتيجة اشتداد الحروب بين الحمدانيين والروم[٥٥] . نتيجة اشتغال بعض هؤلاء الروم ، في قصور الخلفاء ، ورجالات الدولة ، فقد اصبح لهم شأن في الدولة ، وبخاصة في عهد المقتدر ، الذى كان يملك عددا كبيرا من مماليكهم ، ممن يقومون بخدمته وحراسته[٥٦] هذا وقد اشتغل فريق من الروم ، بالصناعات اليدوية المختلفة ، كالحدادة والحياكة[٥٧] . فيما يذكرون .

وقد كثر عدد النساء الروميات في العراق ، عن طريق الاسترقاق ، واعتبرن جوارى ، وانتشرن تبعا لذلك في قصور الخلفاء والاغنياء ، لاتصافهن بالجمال ، يقول ابن بطلان في وصفهن « الروميات بيض شقر ، سباط الشعور ، زرق العيون ، عبيد طاعة وموافقة وخدمة ، ومناصحة ووفاء وأمانة ومحافظة ...[٥٨] وقد برعن في الغناء والضرب على الآلات الموسيقية »[٥٩] كما اصبح بعضهن في منزلة رفيعة عند الخلفاء والاغنياء ، عندما اصبحن أمهات وزوجات لهم ، ويذكر انه كان لبعض الروم ، الذين استوطنوا الدولة الاسلامية ، نشاط أدبي وعلمي ملحوظ ، من بينهم الشاعر

---

(٥٤) ابن ابي اصيبعة ـ طبقات الاطباء ص٢٤٤ .

(٥٥) ابن العبرى ـ تاريخ مختصر الدول ص١٤١ .

(٥٦) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١ ص١٠٠ .

(٥٧) جرجى زيدان ـ التمدن الاسلامى ج٢ ص٤٥ .

(٥٨) انظر احمد امين ـ ظهر الاسلام ج١ ص٦٦ .

(٥٩) الاصبهانى ـ الاغانى ج١٩ ص١٣٨ .

المعـــروف ابن الرومى ، وأبو الفتــح بن جني الـذى نبـغ في النحـو والصرف[٦٠] .

كما تطورت الآلات الموسيقية على يد الروم ، فأدخلوا القيثـــارة ، والرباب ، والارغن ، يقول المسعودى[٦١] : « ان الروم استعملوا الارغن ، واللورا ، والرباب ، والقيثارة ، والصليخ » . أما من حيث اللباس ، فأدخلوا أزياء كثيرة ، خاصة الديباج الرومي[٦٢] والكتابة على الالبسة[٦٣] كمـا تفننوا في تنوع الطعام ، وظهر تأثيرهم في موائد الخلفاء والاغنياء[٦٤] .

هـ ـ عناصر الرقيق :

كان في العراق خلال القرن الثالث والرابع الهجرى ، نوعان مـن الرقيق ، الاسود والابيض ، ويشمل الاول ما يجلب من ساحل افريقيـا الشرقي وهم الزنج[٦٥] . اما الثانى وهو الابيض ويشمل ، الترك ، والروم، والارمن ، وغيرهم[٦٦] .

---

(٦٠) احمد امين ـ ظهر الاسلام ج١ ص ٦٧ـ٦٨ .

(٦١) مروج الذهب ج٤ ص١٥٤ .

(٦٢) الاصبهانى ـ الاغانى ج١٩ ص١٣٨ .

(٦٣) جرجى زيدان ـ التمدن الاسلامى ج٥ ص٨٢ و ١٠٦ و ١٠٧ .

(٦٤) جرجى زيدان ـ التمدن الاسلامى ج٥ ص١٠٤ .

(٦٥) الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى ص٦٤ .

(٦٦) احمد امين ـ ظهر الاسلام ج١ ص١٣٠ .

١ ـ **الرقيق الابيض :**

كان الرقيق الصقلبي ، يفضل على التركي • يقول الخوارزمي « يستخدم التركي عند غيبة الصقلبي »[٦٧] لما اتصفوا به ، من خلق ، وطاعة ، وهيئة[٦٨] • وكانت سمرقند اكبر سوق لتدريب الرقيق[٦٩] • واشتهر رقيق ما وراء النهر ، بالجمال والذكاء[٧٠] •

جلب المسلمون الرقيق الى بغداد من ثلاثة طرق : الطريق الاوربى الغربى[٧١] والطريق الشرقى[٧٢] ، وطريق افريقيا[٧٣] • ولاهمية الرقيق وكثرته انشئت له اسواق كبيرة ، يشرف عليها تجار يعرفون بالنخاسين ، وكان ببغداد شارع يعرف بأسم دار الرقيق[٧٤] • كما كان هناك نواح بهذه المدينة ، اطلق عليها باب النخاسين[٧٥] • وكان بسامراء سوق لبيع الرقيق في القرن الثالث الهجرى • تتخلله طرق متشعبة ، وبه عدة حجرات لبيع الرقيق[٧٦] • وقد يباع الرقيق في البيوت الخاصة ، او بوساطة التجار[٧٧] • ومما يجدر ذكره ، ان الرقيق في القرن الرابع

(٦٧) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٢٨٢ •
(٦٨) ابن حوقل ـ صورة الارض ص٣٨٧ •
(٦٩) جرجي زيدان ـ التمدن الاسلامى ج٥ ص٣٩ •
(٧٠) ابن حوقل ـ صورة الارض ص٤٠٧ •
(٧١) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٢٨٣ •
(٧٢) جرجى زيدان ـ التمدن الاسلامى ج١ ص٢٨٣ ، ج٥ ص٣٩ •
(٧٣) الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى ص٦٤ •
(٧٤) الاصفهاني ـ الاغانى ج١٠ ص٩٥ •
ابن الجوزى ـ المنتظم ج٨ ص٤ •
(٧٥) اليعقوبى ـ البلدان ص١٣ •
(٧٦) الاصفهانى ـ الاغانى ج١٠ ص٩٥ •
اليعقوبى ـ البلدان ص١٣ •
(٧٧) جرجى زيدان ـ التمدن الاسلامى ج٥ ص٢٣ •

الهجرى ، قل عدده ، وأرتفع ثمنه ، بسبب انقطاع وروده من الاندلس وبلاد الدولة الرومانية الشرقية[٧٨] •

وكان يقوم هؤلاء الرقيق ، باعمال شاقة مختلفة ، في المجتمع العباسى ، فمنهم من كان يقوم بالخدمة في بيوت الاغنياء ورجال الدولة ، وكان لدى الخليفة المقتدر من هؤلاء ، أحد عشر ألف خادم ، ما بين رومي ، وصقلبي ، وسوداني[٧٩] • ومنهم من كان يقوم بحراسة النساء ، وخدمتهم ، ويعرفون بالخصيان[٨٠] ومنهم من يقوم بحراسة القصور ، ويطلق عليهم الفراشين ، يتخذون من بينهم رئيسا عليهم[٨١] • ومن بين الارقاء ، من كان يقوم بفلاحة الارض ، وهم نوعان ، السود (الزنج) ، والنوع الثانى النبط ، ويطلق عليهم الاقنعان[٨٢] ويعيشون في القرى ، وقد اعتبروا تدريجيا مرتبطين بالارض ، ينتقلون من مالك الى آخر ، مع الارض • ويذكر ابن طيغور[٨٣] • ان المأمون قال ، عن لسان عمر بن الخطاب (من كان جاره قبطيا واحتاج الى ثمنه فليبعه) •

وكذلك استخدم الرقيق في الجيش ، فاشتهر من بينهم بعض القواد ،

---

(٧٨) جرجى زيدان ـ التمدن الاسلامى ج٥ ص٢٣ •

(٧٩) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١ ص١٠٠ •
الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى ص٦٣ •

(٨٠) البيهقى ـ المحاسن والمساوىء ص٥٧١ •

(٨١) الصابى ـ رسوم دار الخلافة ص٩ـ١٠ •

(٨٢) الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى ص٦٦ •

(٨٣) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١ ص٧٣ •

كأستناس(٨٤) والافشين(٨٥) . واطلق على البيض منهم ، بالغلمان المماليك ، وهؤلاء يقومون غالبا بحراسة الخلفاء(٨٦) .

وكان بعض الجواري يشتغلن بالغناء ، ويعزفن بالقيان ، يقول أبو حيان التوحيدى : (٨٧) « واحصينا في بغداد جانب الكرخ ، ستين وثلاثمائة جارية مغنية » . وكان للجارية التي تتصف بالجمال ، الف دينار(٨٨) . أما صاحبة الصنعة ، فكان ثمنها غاليا(٨٩) . وبلغ من تهافت الناس على الجواري ، ان احتفظ البعض بأكثر من جارية ، وبخاصة الخلفاء ، والوزراء ، والامراء . فالرشيد كان يملك الفي جارية(٩٠) . والمتوكل احتفظ بأربعة آلاف جارية(٩١) وحرص المقتدر على اقتناء عدد كبير من الجوارى(٩٢) . وقد علا شأن بعض الجوارى ، بعد ان تزوج بهن الخلفاء ، ولعبن دورا مهما في سياسة الدولة كالخيزران(٩٣) والسيدة ام المقتدر(٩٤) وقبيحة زوجة

---

(٨٤) اليعقوبى – البلدان ص٢٣ .

(٨٥) ابن حوقل – صورة الارض ص٤٠٧ .

(٨٦) الخطيب البغدادى – تاريخ بغداد ج١ ص١٠١ .

(٨٧) الامتاع والمؤانسة ج٢ ص١٨٣ .

(٨٨) آدم متز – الحضارة الاسلامية ج١ ص٢٨٠ .

(٨٩) التنوخي – نشوار المحاضرة ج١ ص١٣٢ .
ابن الجوزى – اخبار الظراف ص٩٧ .

(٩٠) اتليدى – اعلام الناس ص٦٧ .

(٩١) ابن الجوزى – ذم الهوى ص٦٥٣ .

(٩٢) محمد جمال سرور – الحضارة الاسلامية في الشرق ص جم جم .

(٩٣) الطبرى – تاريخ الامم والملوك ج٦ ص٤٤٧ .

(٩٤) مسكويه – تجارب الامم ج٢ ص١٥٣ .

المتوكل[٩٥] وغيرهن من امهات وزوجات الخلفاء . وكذلك القهرمانات ، اللواتى كن يعشن في قصور الخلفاء ، أمثال علم[٩٦] ، وثمل[٩٧] وكانت الجوارى اللواتى يعشن في قصور الامراء والخلفاء ، أحسن حالا من غيرهن . اذ كن يلبسن الحرير المزركش ، والثياب الفاخرة ، بما فيها السراويل الموشاة ، ذات تكك من الابريسم[٩٨] ، لكنهن لم يتمتعن بالحرية التى يتمتع بها غيرهن ، اذ حتم عليهن عدم الخروج من دار الخلافة . وقد وصف بعض الكتاب أجناس وأخلاق الجوارى ، فيذكر ياقوت الحموى[٩٩] ان منهن التركيات ، والديلميات ، والبربريات ، والعراقيات . وقد تحدث ابن بطلان[١٠٠] في رسالته (شري الرقيق) ، عن ألاعيب النخاسين في تغيير الوجه والجسم ، فقال : انهم كانوا يستخدمون الاصباغ ، والدهون ، والروائح ، في تغيير ملامح الوجه ، وجعله جميلا . وينصح ابن بطلان المشترى ، بالحذر من ألاعيب النخاسين ، كما حذر بعض الكتاب والشعراء ، من التقرب اليهم ، ومنحهم الثقة[١٠١] . وقد أدى التوسع في اقتناء الجوارى ، ودخولهن بيوت الناس ، على اختلاف طبقاتهم ، الى انتشار الفساد ، وضعف الثقة

---

(٩٥) ابن السام الفاطمى ـ النبراس ص٣٦ .

(٩٦) مسكويه ـ تجارب الامم ج٢ ص٧٥ .

(٩٧) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٦ ص١٤٨ .

(٩٨) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج٤ ص٣٢ .

(٩٩) معجم البلدان ج١ ص٣١ و ٢١٠ ج٢ ص٩٢٦ .

(١٠٠) شري الرقيق وتقليب العبيد ص٣٧٩ .
الشيزرى ـ آداب الحسبة ص٥٠ .

(١٠١) ابي الطيب الوشاء ـ الموشى ص١١٩ .

بين الزوج وزوجته • وكان لهذه الظاهرة الاجتماعية ، تأثير بالغ في نفوس أهل الدين والتقوى ، وبخاصة الصوفية ، فاندفعوا الى الزهد ، حرصا منهم على الدين والتقاليد الاسلامية •

اما الارقاء من الذكور، فهم نوعان ، الغلمان المماليك، والخصيان[١٠٢]. وكان يزيد بن معاوية أول من اتخذ له حاجبا من الخصيان[١٠٣] • وفي العصر العباسى انتشر الخصيان في قصور الخلفاء ، ورجالات الدولة • يقول الجاحظ[١٠٤] في وصف الخصي : « انه ليس برجل ولا امرأة ، واخلاقه متقسمة بينهما ، سريع التبدل والغضب ، محبا للنميمة ، ضيق الصدر» • وقال البيهقى[١٠٥] « ان الخصيان وصفوا بالصبر ، واحتمال الركض على الخيل ، فكان أحدهم يجاوز في ذلك رجال الترك ، وفرسان الخوارج» •

٢ ـ الرقيق الاسود (الزنج) :

أدى ظهور الملكيات الواسعة في منطقة البصرة ، وتوفر رؤوس الاموال الكبرى لدى كبار الملاك ، الى شراء مجموعات من الرقيق الاسود ، لاستصلاح الاراضى الزراعية[١٠٦] • وقد عاشت هذه المجموعات ، بعيدة عن حقيقة المجتمع العباسى ، لا تعرف سوى العمل المضنى ، وطاعة اصحاب الاراضى ، فكان هذا العنصر مستعدا لتلبية أى نداء يدعوه الى القيام بثورة ضد

---

(١٠٢) البيهقى ـ المحاسن والمساوىء ص٥٧٠ ـ ٥٧١ •

(١٠٣) جرجى زيدان ـ التمدن الاسلامى ج٥ ص٢٦ •

(١٠٤) مفاخرة الجوارى والغلمان ص٥٣ وما بعدها •

(١٠٥) المحاسن والمساوىء ص٥٦٩ •

(١٠٦) Noldeka Sketches N. 144.

ملاك الاراضي ، لتحريرهم من الرق ، واستعادة حقوقهم ، فلبى الزنج دعوة «علي بن محمد بن احمد» الذى ادعى انه من ولد علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[١٠٧] . واجتمعت كلمتهم حول زعامته . وينفي المؤرخون جميعا ، هذا الانتساب الى العلويين ، فيقول الفخري « ان نسبه ليس صحيحا عند النسابين ، وهم يعدونه من الادعياء »[١٠٨] . ولما قدم هذا الرجل على العراق ، توجه الى البصرة ، حيث كان العبيد من الزنج ، فأخذ يعدهم بتحسين حالتهم المعيشية ، وتمليكهم الاموال التى يغنمونها ، وحلف لهم الايمان الغلاظ الا يخذلهم[١٠٩] . ومما لاشك فيه ان حالة الزنج المعيشية ، كانت سيئة جدا ، اذ اقتصرت اجورهم على مقدار صغير من «الدقيق والتمر والسويق»[١١٠] . وقد اتسع نطاق ثورة الزنج ، بانضمام كثيرين من الاعراب في البصرة[١١١] اليهم ، حتى بلغت بين الف وخمسة آلاف وربما اكثر[١١٢] وهؤلاء هم المتذمرون من سوء ما يلقونه من المعاملة السيئة . وقد أمتد أثر هذه الثورة ، الى منطقة الاهواز ، والى النعمانية في وسط العراق[١١٣] . وكان ضعف الحكومة المركزية ، من بين الاسباب التى أدت الى استمرار ثورة الزنج فترة طويلة ، اذ كان الاتراك

---

(١٠٧) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٥٤٣ .

(١٠٨) ابن طباطبا ـ الفخري في الآداب السلطانية ص٢٢٧ .

(١٠٩) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٥٤٦ .

(١١٠) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٥٤٦ .

(١١١) الدوري ـ العصور العباسية المتأخرة ص٨٢ .

(١١٢) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٥٤٦ـ٥٤٧ .

(١١٣) المسعودي ـ التنبيه والاشراف ص٣٠٩ .

يتحكمون في سلطة الخلافة ، حتى جاء الخليفة المعتمد ، وشاركه أخوه أبو أحمد الموفق طلحة ، في ادارة شؤون الدولة ، وكان قديرا شجاعا ، استطاع ان يحارب الزنج ، ويقضي على صاحبهم سنة ٢٧٠هـ(١١٤) .

اتخذ الزنج المناطق السهلية ، ذات المستنقعات ، مكانا للحرب ، مما جعل الجيش العباسى يواجه صعابا في اجتياز تلك المنطقة ، كما تحملت الدولة الاسلامية اعباء مالية كثيرة في سبيل اخماد ثورة الزنج ، مما عرض بيت مالها الى الافلاس . وفضلا عن ذلك فقد تعرضت منطقة السواد للمجاعة ، نتيجة لأتلاف الزنج مزروعانها(١١٥) . كما وقع في أيدى الزنج ، كثير من سبى العرب ، على الرغم من ادعائهم ومطالبتهم تحرير العبيد . وقد استرقوا بعض نساء بنى هاشم(١١٦) .

وكان الزنج يدعون الى الاصلاح الاجتماعى ، باسم الدين ، وقد استغل العامة ، ومن بينهم ارباب الصنائع والمهن بصفة خاصة ، هذا التذمر ، وأخذوا يتكتلون ، ويظهرون استياءهم من السلطة الحاكمة . وتجلى ذلك في الحركات الثورية المتمردة على السلطة . كثورات الجند الذين كانوا يطالبون بأرزاقهم .

---

(١١٤) المسعودى ــ مروج الذهب ص١٤٥ .
ابو الفداء ــ المختصر في اخبار البشر ج٢ ص٥٣ .
(١١٥) ابن طباطبا ــ الفخرى في الآداب السلطانية ص٢٢٧ .
(١١٦) المسعودى ــ مروج الذهب ج٤ ص١٤٦ .

٢ ـ الطوائف الدينية

أ ـ الاشـراف :

ظهر في العصر العباسى جماعة من المسلمين ، تفتخـر بقرابتها مـــن الرسول وبنسبها القرشى ، متمسكة بما جاء في القرآن الكريم من الآيات التى اشارت الى قرابة الرسول كقوله تعالى « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»[(١١٧)] • وغيرها من الآيات ، ومتخذة مـــن هذه القرابة صفة دينية تميزها عن غيرها ، وقد أطلق عليهم الاشراف أو أهل البيت ، وهؤلاء لا يزالون يعرفون بهذه التسمية الى وقتنا الحاضر[(١١٨)] • وتشمل طبقة الاشراف بني هاشم من العباسيين والعلويين[(١١٩)] • ومع ما كان بين هذين الفرعين من خلاف ونزاع ، فان العلويين أشركوا في بعض المناصب ومنها القضاء • وامارة الحج ، والنقابة ، كما كان لهم رواتب خاصة •

وكان الخلفاء العباسيون اصحاب المرتبة الاولى في الدولة ، ولا يشاركهم أحد في ذلك • وقد احتفظوا في فترات ضعفهم ، بالاشراف على الوظائف الدينية ، من تعيين القضاة ، والوعاظ ، وأئمة المساجد • وكان هؤلاء يشكلون دوما حزبا يؤيد الخليفة • ومن الوظائف التى استأثرت بها طبقة الاشراف ، النقابة ، فيذكر الماوردى[(١٢٠)] ان لكل من الطالبين والعباسيين نقيبـــا ،

---

(١١٧) سورة الاحزاب آية ٣٣ •

(١١٨) محمد جمال سرور ــ الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٧٠ •

(١١٩) ابن طباطبا ــ الفخرى في الآداب السلطانية ص١٤٧ •

(١٢٠) الاحكام السلطانية ص٨٢ •

ويختار من أجلهم بيتا ، واكثرهم فضلا ، وأجزلهم رأيا ، فتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة • ومن مهام النقيب رعاية شؤونهم ، والسعي في قضاء حوائجهم ، ومعاقبة المعتدى منهم[١٢١] • ويحدثنا الماوردى[١٢٢] عن المهام التى اختصت بها النقابة • بقوله : « انها وضعت لصيانة ذوى الانساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ، ولا يساويهم في الشرف ، وهى على ضربين : الخاصة : ان يقتصر النقيب بنظره على مجرد النقابة ، من غير تجاوز لها الى حكم واقامة حد ، وتتضمن اثنى عشر حقا ، اما العامة ، فلها خمسة حقوق ، اضافة الى الحقوق السابقة » •

وكان لبني هاشم من العباسيين والطالبيين ، نقيب واحد حتى القرن الرابع الهجرى ، ثم صار لكل فريق منهم نقيب • ويرجع السبب في ذلك الى تزايد نفوذ العلويين ، وضعف أمر العباسيين[١٢٣] ، فيذكر ابن الجوزى[١٢٤] انه في سنة ٣٥٤هـ تقلد أبو أحمد الحسين بن موسى نقابة الطالبيين ، وهذا يثبت لنا أنه أصبح للطالبيين نقيب خاص • وكان يقرأ عهد تعيين النقيب ، بحضرة الخليفة ، وحضور القضاة ، والشهود ، والاشراف ، وكبار رجال الدولة[١٢٥] • وقد جرت العادة ان يخلع على النقيب سواد

---

(١٢١) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٣ ص٤٨١ •

(١٢٢) الاحكام السلطانية ص٨٣ ـ ٨٦ •

(١٢٣) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٢٦٣ •

(١٢٤) المنتظم ج٧ ص٢٣ •

(١٢٥) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص١٧٤ •

بحضرة الخليفة ، بالنسبة للنقباء العباسيين ، اما نقيب الطالبيين ، فلاول مرة خلع عليه بسواد في سنة ٤٠٣هـ عند تقليد الشريف الرضى الموسوى(١٢٦) . وهذا يدلنا على مدى أهمية وظيفة النقيب ، وقد يعين نقباء في المدن الكبرى ايضا(١٢٧) . وكانت تسند امارة الحج الى شريف من العباسيين او الطالبيين(١٢٨) . ويصدر تقليد بتعيينه من الخليفة ، وكانت هذه الوظيفة ، تدر على صاحبها ارباحا وفيرة(١٢٩). كما انه يقوم بتمثيل الخليفة في امارة الحج ، فيقرأ الخطبة نيابة عنه(١٣٠) . وقد يجمع النقيب بجانب صفته النقابية ، وظيفة القضاء ، فيقوم بالنظر في الاحكام(١٣١) ويعين بعهد من الخليفة ، ففي سنة ٣٦٣هـ عين هاشمي لولاية القضاء في بغداد(١٣٢) . وقد يجمع النقيب بين عدة وظائف ، كما حدث في سنة ٣٩٤هـ ، اذ قلد بهاء الدولة البويهى أبا أحمد الموسوى ، قضاء القضاة ، والحج ، والمظالم ، ونقابة الطالبيين . وكان التقليد له بشيراز ، فكتب له عهدا على جميع ذلك ، ولقب بالطاهر الاوحد ذى المناقب ، لكن الخليفة القادر بالله العباسي رفض أن

---

(١٢٦) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص٢٨٦ .

(١٢٧) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص٢٦٨ .

(١٢٨) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص٥٣ .
المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص٣١٦ـ٣٢٧ .

(١٢٩) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٢٦٧ .

(١٣٠) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص٦٤ .

(١٣١) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص١٦٦ .

(١٣٢) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص٦٤ .

يأذن له بتولى القضاء ، لان تعيين القضاء من اختصاصه ، وليس للامير البويهى أن يعين قاضيا[١٣٣] .

وكان الاشراف من بنى هاشم ، باعتبارهم اقرباء الرسول ، يأخذون راتبا معينا من الحكومة الاسلامية ، وقد حرمت عليهم الصدقة ، ويذكر هلال بن الصابي[١٣٤] . ان كل فرد من الطالبين والعباسيين ، كان يأخذ دينارا كل شهر ، كما خصص المعتضد رواتب لاولاد الخلفاء ، بلغت ألف دينار شهريا[١٣٥] . ويذكر الطبرى[١٣٦] انه في سنة ٢٠٩هـ احصى عدد العباسيين ، فبلغ ثلاثة وثلاثين ألف . ويذكر الجاحظ ان العلويين احصوا قبل اعوام من ذلك ، فبلغوا ألفين وثلثمائة نفس[١٣٧] .

وكانت تحدث في بعض الاحيان فتن بين الطالبيين والعباسيين ، فينحاز الى كل فريق اتباعه ، مما يؤدى الى انبعاث العصبية المذهبية بين السنة والشيعة بصورة واضحة[١٣٨] .

---

(١٣٣) ابو الفداء ـ المختصر في اخبار البشر ج٢ ص٣٣٣ .
ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص٢٢٧ .
(١٣٤) الوزراء ص٢٥ .
(١٣٥) هلال بن الصابىء ـ الوزراء ص٢٥ .
(١٣٦) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٢٦٤ .
(١٣٧) الحضارة الاسلامية ج١ ص٢٦٤ .
(١٣٨) ابن الاثير ـ الكامل ج٧ ص١٤٥ .
ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص٦٨ .

ب ـ أهل الذمة :

تمتع أهل الذمة بكثير من ضروب التسامح الدينى ، فأقاموا الشعائر الدينية في أمن ودعة ، وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة ، وفي ممارسة المهن الحرة . ولم يتدخل خلفاء بنى العباس بصورة عامة ، في شؤونهم الدينية الا في بعض الفترات ، حيث وضعت القيود على الالبسة ، وبناء البيع ، الا أن تنفيذ هذه القيود لم تطبق تطبيقا تاما . يقول بارتولد[(١٣٩)] « ان النصارى الذين عاشوا في ظل المسلمين لم يصبهم قط ، ما أصاب المسلمين في اسبانيا من الظلم والعدوان» . فقويت الروابط بين المسلمين وأهل الذمة ، لمشاركتهم جميعا في نواحى الحياة العلمية والادبية ، فمن أهل الذمة من كان طبيبا ، ومهندسا ، وتاجرا ، وصرافا ، وبزازا[(١٤٠)] ، ولم ينفصلوا عن بعض الا في ممارسة الطقوس الدينية ، ومناطق السكن ، فأقام النصارى في بغداد بمحلة الشماسية كنيسة تعرف باسم دار الروم[(١٤١)] ، وسكنوا ايضا مدينة تكريت[(١٤٢)] بين الموصل وبغداد ، ومدينة الرها[(١٤٣)] .

أما اليهود ، فوجدوا في بغداد بكثرة ، فكانت لهم في عهد المعتضد مراكز مهمة ، ظلت مزدهرة حتى القرن السادس الهجرى ، حيث زارها الرحالة

---

(١٣٩) الحضارة الاسلامية ص٢٤ .

(١٤٠) أبو يوسف ـ الخراج ص١٢٣ .

(١٤١) بابو اسحاق ـ احوال نصارى بغداد ص٣٩ .

(١٤٢) ابن حوقل ـ صورة الارض ص ٢٠٥ .

(١٤٣) المقدسى ـ أحسن التقاسيم ص٢٢١ .
ابن حوقل ـ صورة الارض ص٢٠٤ .

بنيامين ، فوجد في بغداد عشر مدارس وثمان وعشرين كنيسا ، منها واحد مزين بالذهب والفضة[١٤٤] • اما الصابئة ، فسكنت منطقة البطائح في جنوب العراق[١٤٥] •

وليس لدينا احصاء عن عدد أهل الذمة في العراق خلال القرنين الثالث والرابع • ومن الاخبار التي وصلت الينا ، انهم بلغوا اكثر من ستين الفا[١٤٦] •

كان لكل من النصارى واليهود رئيس ديني ، يعين بعهد من الخليفة ، ويسمى رئيس النصارى ، بالجاثليق[١٤٧] • اما رئيس اليهود ، فيسمى بالملك ، تكون رئاسته بالوراثة ، ويستمد سلطاته من كتاب عهد يوجه اليه من الخليفة[١٤٨] وتجرى لكل منهما مراسيم عند توليتهما[١٤٩] • ويقول بنيامين في وصفه لرئيس اليهود المسمى (بالجالوت) أو الملك ، عند اجراء مراسيم التولية «يمتطى الرئيس الدينى صهوة جواده وعليه حلة ثمينة ، ويسير معه الفرسان من المسلمين ، واليهود ، عندما يخرج لمقابلة الخليفة[١٥٠] •

---

(١٤٤) بنيامين التطيلي ـ الرحلة ص١٣٥ـ١٣٩ •

(١٤٥) المسعودى ـ مروج الذهب ج٢ ص١١١ •

(١٤٦) ابن خرداذبة ـ المسالك والممالك ص١٢٠ •

(١٤٧) بابو اسحاق رفائيل ـ احوال نصارى بغداد ص٤٨ •

(١٤٨) بنيامين ـ الرحلة ص١٣٧ •

(١٤٩) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٦٠ •

(١٥٠) بنيامين ـ الرحلة ص١٣٧ •

أما عن العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة ، فكانت حسنة بصفة عامة • غير أنه في بعض الفترات ، كان يسودها التوتر ، وذلك حين يتشدد بعض الخلفاء في معاملة أهل الذمة ، أو حين يسند الى احدهم ، منصب كبير في الدولة • وقد تجلت الحالة الاولى في عهد الرشيد ، والمتوكل ، والمقتدر • فقد أمر الرشيد بهدم الكنائس في الثغور ، وأوصى بأخذ أهل الذمة في مدينة السلام ، بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم(١٥١) وفي عهد المتوكل ، أمر أهل الذمة ، بوضع صور من شياطين من خشب على ابواب دورهم ، وتسوية قبورهم مع الارض • كما حتم عليهم لبس زى خاص بهم (١٥٢) • اما في عهد المقتدر ، فأمر ان لا يستعان بأحد منهم في وظائف الدولة ، وألزموا بلبس العسلى ، والرقاع من خلف ومن قدام ، وان تكون ركبهم خشبا(١٥٣) وفي الحالة الثانية ، عند اسناد منصب كبير الى احد افراد أهل الذمة ، كما حدث حين اتخذ الوزير ابن الفرات رئيس ديوان الجيش ، من النصارى ، فثار المسلمون ، وأنكروا

---

(١٥١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٥ ص١٢٧ • ويذكر أبو يوسف في كتاب الخراج ص١٢٧ « ان على أهل الذمة ان يجعلوا في أوسطهم الزنارات ، وان تكون قلانسهم مضربة وان يتخذوا على سروجهم في موضع القرابيس مثل الرمانة من خشب وان يجعلوا اشراك نعالهم متينة وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل » •

Khadduri, P. 106.

(١٥٢) الجاحظ ـ البيان والتبيين ج١ ص١١٤ •
الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٥٤ •

(١٥٣) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٦ ص٨٢ •
عماد الدين الدمشقى ـ البداية والنهاية ج١١ ص١٠٨ •

هذا العمل ، لما تتطلبه الوظيفة من تقبيل المسلم يد النصراني • وقد احتج علي بن عيسى عليه بقوله : « أما اتقيت الله في تقليدك ديوان جيش المسلمين ، رجلا نصرانيا ، وجعلت أنصار الدين ، وحماة البيضة ، يقبلون يده ، ويمتثلون لامره » فادعى ابن الفرات ، انه ليس أول من اتخذ رجلا نصرانيا لمثل هذا المنصب(١٥٤) •

وكان الخلفاء يستعينون احيانا بالنصارى في وظائف الدولة • فالمعتضد قلد من النصارى كتابا في الدولة(١٥٥) •

كما انه في سنة ٣٠٣هـ عين كلا من بنان النصرانى ، كاتبا لرئيس ديوان الدار ، ومالك بن الوليد النصرانى ، رئيسا لهذا الديوان ، وابن القنانى واخيه رئيسا لبيت المال(١٥٦) • كذلك استخدم الوزير «الحسن بن القاسم بن وهب» النصارى في وظائف كتابية(١٥٧) •

وفي النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، تقلد النصارى بعض المناصب الكبرى في الدولة ، فاتخذ عضد الدولة ، نصر بن هارون وزيرا له •

---

(١٥٤) هلال بن الصابى ـ الوزراء ص١٠٩ •
هلال بن الصابى ـ الوزراء ص١٠٩ •

(١٥٥) هلال بن الصابى ـ الوزراء ص١١٤ •
التنوخى ـ نشوار المحاضرة ج١ ص٣٥
هلال بن الصابى ـ الوزراء ص١١٤

(١٥٦) الشابشتى ـ الديارات ص٧٩ •

(١٥٧) عريب بن سعد ـ صلة الطبرى ص١١٤ـ١١٥ •

وقد أذن له في عمارة البيع والاديرة ، واطلاق الاموال لفقراء النصارى[١٥٨]، وكان للخليفة الطائع ، كاتب نصرانى[١٥٩] . وقد احتل الاطباء النصارى منزلة كبيرة لدى الخلفاء ، فأتخذ المتوكل يوحنا بن ماسويه ، طبيبا له[١٦٠]، وكان لا يتذوق طعاما الا بحضرته ، كما كان الطبيب بنان بن سلمون مقربا الى المعتصم[١٦١] .

وقد حدد الاسلام العلاقات الاجتماعية بين المسلمين ، والنصارى ، واليهود ، والمجوس ، والصابئة فسمح بزواج المسلم من أهل الكتاب ، دون أن تجبر الزوجة على ترك دينها ، والدخول في الاسلام[١٦٢] . كما انه لا يجوز للمسيحى أن يتهود ، ولا لليهودى ان يتنصر واقتصر التغيير في الدين، على الدخول في الاسلام[١٦٣] . ولم يكن النصراني يرث اليهودى ولا اليهودى يرث النصرانى ، كما لم يكن النصرانى أو اليهودى يرث المسلم ، ولا المسلم يرث غير المسلم ، يهوديا كان أم نصرانيا[١٦٤] وأن ترد تركة من مات من أهل الذمة ، ولم يخلف وارثا ، على أهل ملته ، كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «لا يتوارث أهل ملتين»[١٦٥] . هذا وقد

---

(١٥٨) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص١٠١ .

(١٥٩) آدم متز الحضارة الاسلامية ج١ ص٩٠ .

(١٦٠) ابن أبى اصيبعة ـ طبقات الاطباء ص٢٤٦ .

(١٦١) ابن العبرى ـ مختصر تاريخ الدول ص٢٤٣ .

(١٦٢) ابن رسته ـ الاعلاق النفسية ص٢٠٣

(١٦٣) متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٥٦ـ٥٧ .

(١٦٤) محمد جمال سرور ـ الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٧٤ .

(١٦٥) هلال بن الصابى ـ الوزراء ص٢٧٠ .

أمر المعتضد بأن ترد تركة من مات من اهل الذمة ولم يخلف وارثا على ذوى الارحام ، كما اوجب الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكما عمل بذلك عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبدالله بن العباس ، وعبدالله بن مسعود ـ سلام الله عليهم ـ ومن اتبعهم من أئمة الهدى رضى الله عنهم . كما أمر ان يصرف عمال المواريث ، وان يعاد النظر في اعمال المواريث التى حكم بها في ايام المعتمد على الله ، وترد الى ما كان يجرى عليه قبل ايام المعتمد على الله . لكن هذا النظام اهمل بعد وفاة المعتضد ، ولقى الناس من ديوان المواريث ، كثيرا من العنت ، بسبب ما فرض عليهم من أموال لم تقرها السنة ، كما حمل المقتدر على ان يصدر سنة ٣١١هـ كتابا في المواريث ، أمر فيه «أن ترد تركة من مات من أهل الذمة ولم يخلف وارثا على أهل ملته»[١٦٦] .

أما الجزية ففرضت على أهل الذمة ، وأعفي منها النساء ، والصبيان ، والاطفال ، والمرضى ، والعاجزون ، والرهبان[١٦٧] . وقد راعى الحكام المسلمون ، الرفق في جباية الجزية من أهل الذمة[١٦٨] .

وكان لاهل الذمة ، خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، لباس خاص يتميزون به عن المسلمين عامة ، فاليهود ارتدوا البراطيل الطويلة ،

---

(١٦٦) محمد جمال سرور ـ الحضارة الاسلامية ص١١٧ .

(١٦٧) أبو يوسف ـ الخراج ص١١٢ .
Encyclopedia of Islam P. 958.

(١٦٨) أبو يوسف ـ الخراج ص١٢٥ .
Levy P. 95.

على حين اتخذ النصارى البرانس أول الامر ، ثم لبسوا القلانس الطويلة(١٦٩) كما لبس أهل الذمة الخمار(١٧٠) . وفي عهد المتوكل أجبروا على لبس الطيالسة العسلية ، والزنانير ، والقلانس المخالفة لقلانس المسلمين(١٧١) ، ومن أراد أن يلبس قلانس مثل قلانس المسلمين ، فليجعل عليها زرين(١٧٢). أما العمامة ، فيجب ان تكون عسلية اللون(١٧٣) . ويقول الجاحظ(١٧٤) : « ان النصارى لبسوا الملحم ، والمبطنة ، واتخذوا الشاكرية ، وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي ، واكتنوا بذلك اجمع ، وبلغ من تسامح الخلفاء ، أنهم كانوا يشاركون النصارى في الاحتفال بأعيادهم(١٧٥) . وكانت اعياد النصارى على نوعين ، دينية عامة كعيد رأس السنة(١٧٦) . واعيـــاد خاصة يحتفل بها بعض الاديرة دون غيرها ، وتقام الاحتفالات في مثل هذه الاعياد ، ويشترك النساء والرجال ، وهم في أجمل زى ، ويرتلون الاناشيد الدينية ، ويخرج الرهبان والكهنة في موكب ديني(١٧٧) .

---

(١٦٩) آدم متز — الحضارة الاسلامية ج١ ص٨٤ .

(١٧٠) الجاحظ — البيان والتبين ج١ ص٤١ .

(١٧١) ابن البسام الفاطمى — النبراس ص٨٠ .

(١٧٢) الجاحظ — البيان والتبين ج١ ص٤١ .

(١٧٣) الطبرى — تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٥٤ .

(١٧٤) ثلاث رسائل — الرد على النصارى ص١٨ .

(١٧٥) الشابشتى — الديارات ص٦٩-٧٠ .

(١٧٦) البيرونى — الآثار الباقية ص٢٨٨ .

(١٧٧) بابو اسحاق — احوال النصارى ص٩٧ .

جـ ـ الصابئة :

اختلف المؤرخون في عقيدة الصابئة ، فالمسعودى[(١٧٨)] يقول : ان أصل عبادتهم هى عبادة النجوم والكواكب ، ثم تطورت الى عبادة الاصنام ، فبنوا لكل صنم بيتا أو هيكلا منفردا ، وسموا تلك الهياكل باسماء الكواكب • ويقول ابن منظور : ان الصابئة قوم يزعمون انهم على دين نوح عليه السلام ، وهم كاذبون ، ويشبه دينهم بدين النصارى[(١٧٩)] • أما ابن العبرى[(١٨٠)] فيقول عن دينهم : انه هو دعوة الكلدانيين وان اقوالهم قريبة من اقوال الحكماء • وقال غيرهم : انهم على دين صابىء بن شيت بن آدم ، يعبدون الكواكب في الباطن ، وينسبون الى النصرانية في الظاهر[(١٨١)] • وقد جاء ذكر الصابئة في القرآن في ثلاثة مواضع[(١٨٢)] • وقد اعتبرهم المسلمون من أهل الذمة، وأعطوهم أمان أهل الكتاب •

وقد كتب للصابئين في منتصف القرن الرابع ، كتاب عن أمير المؤمنين المطيع لله ، أقر فيه الى جانب صيانتهم ، وحراستهم ، والذب عن حريمهم ، ورفع الظلم عنهم ، ونحو ذلك ، بالتخلية بينهم وبين مواريثهم ، وترك مداخلتهم ، ومشاركتهم فيها ، استنادا الى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا يتوارث أهل ملتين)[(١٨٣)] • وفي أيام القاهر في سنة ٣٢٠هـ ،

---

(١٧٨) مروج الذهب ـ ج٢ ص١٣٥ •
(١٧٩) لسان العرب ـ ج١ ص١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٧ •
(١٨٠) مختصر تاريخ الدول ـ ص١٥٣ •
(١٨١) المصباح المنير ـ ص٥٠٩ • انظر الحسنين •
(١٨٢) السورة الثامنة آية ٦٨ السورة الخامسة آية ٦٩ ـ السورة الثانية والعشرون آية ١٧ •
(١٨٣) هلال بن الصابىء ـ الوزراء ص٢٧٠ •

استفتى الخليفة أبا سعيد الاصطخرى محتسب بغداد ، في الصابئن ، فأفتاه بقتلهم ، لانه تبين له ، انهم يخالفون النصارى واليهود ، ويعبدون الكواكب ، فعزم الخليفة على تنفيذ هذه الفتوى ، لكنه ما لبث أن عدل عن ذلك ، بعد ان أدى اليه الصابئة مالا كثيرا[١٨٤] .

هناك فرقتان من الصابئة : صابئة حران وصابئة العراق ، يقول ابن حوقل[١٨٥] : كان لصابئة حران مصلى يعظمونه ، وينسبونه الى ابراهيم . ويقول هلال الصابىء[١٨٦] : « ان صابئة حران تعبد الكواكب ، يجرون بذلك مجرى عبدة الاوثان . أما صابئة العراق فهم فرقة موحدة ، نشأت في فلسطين قبل ظهور النصرانية ، وهم من اتباع يوحنا المعمدان المشهور في المراجع العربية باسم «يحيى بن زكريا» ويطلق عليهم العرب اسم « المغتسلة » لانهم يسكنون على ضفاف الانهار ، لتسهيل التعميد في الماء الجارى[١٨٧] وتسمى ايضا الصابئة البطائحية ، لانها تسكن في بطائح العراق[١٨٨] حتى هذا اليوم ويقيم فريق منهم في بغداد . ويقول ابن النديم[١٨٩] أن تسمية أهل حران بالصابئة ، ترجع الى أيام المأمون . فقيل ان المأمون وهو في طريقه لغزو بلاد الروم سنة ٢١٥هـ ، عرج على ديار مضر ، فقابله الناس يدعون له ، وفيهم جماعة من الحرانيين ، وكان زيهم اذ

---

(١٨٤) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٦٧ .
(١٨٥) صورة الارض ص٢٠٤ .
(١٨٦) رسوم دار الخلافة ص٦ .
(١٨٧) هلال بن الصابىء ـ رسوم دار الخلافة ـ ص٧ .
(١٨٨) وتشمل لواء العمارة وهو المقر الاصلى ولا يزال للصابئة .
(١٨٩) الفهرست ص٤٥٩ .

ذاك لبس الاقبية ، وشعورهم طويلة ، فأنكر المأمون زيهم ، وقال لهم : من أنتم ؟ من الذمة ؟ فقالوا : نحن الحرانية ، فقال : أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا • قال : فيهـود أنتـم ؟ قالوا : لا ، قـال : فمجـوس أنتـم ؟ قالوا : لا • فقال لهم : أفلكم كتاب أم نبى ؟ فترددوا في القول • فقال لهم : فانتم اذا الزنادقة ، عبدة الاوثان ، فانتم حلال دماؤكم ، لا ذمة لكم ! فاختاروا الآن ، أحد أمرين : اما ان تنتحلوا دين الاسلام ، أو دينا من الاديان التى ذكرها الله في كتابه ، والا قتلناكم عن آخركم • وأعطى لهم مهلة قصيرة لتحديد موقفهم ، فأقترح عليهم شيخ من أهل حران ، أن يقولوا للمأمون «انهم صابئة فهذا اسم دين ذكره الله في كتابه» وهكذا أطلق عليهم اسم الصابئة • وقد فرق بعض المؤرخين بينهم وبين صابئة حران ، فيقول ابن القفطى(١٩٠) ان أبا حنيفة وصاحبيه أبا يوسف ومحمد ، اختلفوا في نكاح الصابئة ، وأكل ذبائحهم ، فحرمها أبو حنيفة ، واحلها صاحباه (أبو يوسف ومحمد) • فقال أتباعهم : انه ليس بخلاف على الحقيقة ، وانما هو خلاف في الفتوى ، لان أبا حنيفة سئل عن الصابئين الحرانيين ، وهم معروفون بعبـادة الكـواكب ، فأجراهم مجرى عبدة الاوثان ، في تحريم المناكحة ، والذباحة ، بينما كان سؤال أبي يوسف ، ومحمد ، عن الصابئين سكان البطائح ، وهؤلاء فرقة من النصارى ، يؤمنون بالمسيح ، فأجازوا ذبائحهم • ولو سئل أبو حنيفة عـن الصابئة البطائحية ، لأفتى بفتوى صاحبيه ، ولو سئل صاحباه عن الفرقة التى قصد ابو حنيفة ، لأفتيا بمثل قوله في الصابئة الحرانية ، لهذا تختلف في بعض عاداتها وتقاليدها ، عن الصابئة البطائحية المسماة (بالمندائية) في العراق • وقد

---

(١٩٠) عيون الانباء في طبقات الحكماء ص٣١١ •

حدثنا ابن النديم[١٩١] عنهم فقال : شعورهم طويلة ، منعهم المسلمون من لبس الاقبية ، لانها من لبس اصحاب السلطان •

ومن أعياد الصابئة ، (عيد الميلاد) يقع في ٢٣ كانون الاول ، وعيد آخر يقع في السابع والعشرين من تموز يسمى (عيد البوتات)[١٩٢] وتجرى فيه مراسيم خاصة ، في الصوم ، والطعام ، وذبح الذبائح • وأعياد الصابئة كثيرة ، تحدث في جميع اشهر السنة ، لكل منها مراسيم ، وتقاليد ، وتعاليم خاصة[١٩٣] •

أما صلواتهم كما يقول ابن العبرى[١٩٤] فهى ، ثلاث مرات في اليوم ، قبل طلوع الشمس بنصف ساعة ، وفي نصف النهار ، ومع الغروب ، ويتوضأون قبل الصلاة كالمسلمين ، ويصومون ثلاثين يوما ايضا ، ولكنها تختلف عن طريقة المسلمين ، في كونها غير متتالية ، بل متقطعة الى ثلاث مراحل ، في كل مرحلة عشرة أيام •

أما عن تأثيرهم في المجتمع ، فلم يكن فعالا وظاهرا ، اذ لم يكن لهم نشاط كبير ، كما كانت الحال بالنسبة للمسلمين ، واليهود • ويرجع السبب في ذلك ، الى قلة عددهم ، وعدم تصاهرهم مع مخالفيهم في الدين ، ولسرية تعاليمهم الدينية ، حتى انهم حاولوا التستر بالاسلام ، خوفا من

---

(١٩١) الفهرست ص٤٦٠ •

(١٩٢) يبدأ من منتصف تموز حتى نهايته •

(١٩٣) ابن النديم ـ الفهرست ص٤٦١ ـ ٤٦٧ •

(١٩٤) مختصر تاريخ الدول ص١٥٣ •

القتل ، وهؤلاء هم صابئة حران ، اما صابئة العراق ، فقد جاروا المسلمين بقدر الامكان بصيامهم اليوم الاول من رمضان (١٩٥) •

وقد اشتهر الصابئة ، ببراعتهم في بعض الصناعات ، كالنقش على الفضة • ولا تزال جماعة الصابئة العراقية ، تقوم بهذه الصناعة الى اليوم ، كما نبغ منهم بعض الاطباء ، مثل ثابت بن سنان وابن قرة (١٩٦) واحتل بعض كتابهم ، مركزا كبيرا في الدولة ، من أمثال هلال بن الصابىء ، والفلكى أبي عبدالله البتاني (١٩٧) • وكان هناك فريق من الصابئة ، يقوم بنفس الاعمال التى يقوم بها غيرهم ، من رعايا الدولة الاسلامية •

د ـ المجـوس :

هم أتباع زردشت • اتخذوا من بيوت النيران معابد لهم • وظهرت هذه الديانة في فارس ثم انتقلت الى العراق (١٩٨) • وقد أعترف بهم في القرن الرابع الهجرى أهل ذمة كالنصارى واليهود والصابئة (١٩٩) • وكان لهم رئيس ديني يمثلهم في قصر الخلافة يلقب بالملك (٢٠٠) • ويذكر المقدسى (٢٠١) انه مما جعل من العسير على المسلمين التغلب عليهم وبخاصة في المناطق البعيدة تمسكهم بدينهم وتقاليدهم وكراهيتهم للاسلام • وكان

---

(١٩٥) عبدالرزاق الحسنى ـ الصابئون ص٨٨ •
(١٩٦) ابن ابي اصيبعة ـ طبقات الاطباء ص٢٠٦ •
(١٩٧) فيليب حتى ـ تاريخ العرب ص ٤٥٩ •
(١٩٨) المسعودى ـ مروج الذهب ج٢ ص٢٤٣ •
(١٩٩) محمد جمال سرور ـ الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٧٣ •
(٢٠٠) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٦٠ •
(٢٠١) احسن التقاسيم ـ ص١٢٨ •
حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام ج٣ ص٤٢٥ •

حكام المسلمين يعاملون المجوس معاملة تنطوى على الرعاية والعطف وليس ادل على ذلك مما قام به الامير عضد الدولة البويهى حين وقعت الفتنة سنة ٣٦٩هـ بين المجوس وعامة شيراز من المسلمين ، اذ أنزل العقاب بكل من اشترك في هذه الفتنة(٢٠٢) •

وكان من أثر وجود المجوسية في بعض أرجاء الدولة الاسلاميـــة في الشرق كالعراق وفارس خاصة ، أن ظهرت عدة فرق دينية في المجتمـــع العباسى متأثرة بمبادىء المجوس لعبت دورا كبيرا في المجتمع كالخرميـــة والمحمرة وغيرها • ويذكر ابن النديم(٢٠٣) انها جميعا تعود الى أصل واحد ويؤكد ذلك الشهرستانى(٢٠٤) • وقد ظهر نشاط هذه الفرق في القرن الثالث الهجرى وأدى الى قيام ثورات ضد الخلافة العباسية(٢٠٥) • وعرف المجوس بكونهم تجار وأهل حرف فنية(٢٠٦) ، واشتهر منهم بعض الادباء كابن المقفع(٢٠٧) • ومن الخلفاء من استكتب المجوس في وظائف الدولة فالرشيد استكتبهم على ديوان الخراج وكذلك فعل المأمون(٢٠٨) •

وكان للمجوس اعتقاد مع السواد الاكبر من عامة الناس في الايمان (بعبدالله بن صالح) المعروف بالخضر(٢٠٩) ، ولا يزال هذا الاعتقاد سائدا لدى بعض المسلمين حتى اليوم •

---

(٢٠٢) محمد جمال سرور ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٧٣ •
(٢٠٣) الفهرست ص٤٩٣ •
(٢٠٤) الملك والنحل ص٨٧ •
(٢٠٥) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٥ ص١١٣ •
(٢٠٦) المقدسى ـ احسن التقاسيم ص٢٢٩ •
(٢٠٧) الجاحظ ـ ثلاث رسائل ص٤٧ •
(٢٠٨) الجاحظ ـ ثلاث رسائل ص٤٧ ـ ٤٨ •
(٢٠٩) الجاحظ ـ الحيوان ج٧ ، ص٢٠٤ و ٢٠٥ •

ولا يفوتنا أن نذكر ان الاعيـاد المجوسية الفارسية القديمة كالمهرجان والنوروز احتفل بها الخلفاء ولازال عدد كبير من عامة العراق تحتفل بهذين العيدين احتفالا شعبيا الى الوقت الحاضر • ومما يجدر ذكره ان المسلمين من العرب خاصة ناهضوا المجوسية لتمسكها ببعض التعاليم المنافيـة للشـرع والاخلاق(٢١٠) •

٣ _ طبقات المجتمع العراقي

أ _ العـامة :

كانت بغداد مركزا للعلم والعلماء ، منذ مستهل القرن الثالث الهجرى، حتى اواخر عهد بني بويه(٢١١) • وكانت للعلماء منزلة كبيرة لدى الخلفاء ، ورجالات الدولة ، ولدى الطبقة العامة • وبين العلماء من كان فقيها ، او فيلسوفا ، او مؤرخا • وكان بين الخلفاء والامراء والوزراء ، من يميل الى نشر العلم ، كالخليفة المأمون الذى يرجع اليه الفضل في تقدم الحـركة العلمية ، في مستهل القرن الثالث الهجرى • كذلك اهتم الامير البويهى عضد الدولة ، بالنهوض بالآداب والعلوم الاسلامية • وكان لبعض وزراء بنى بويه ، أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية والادبية(٢١٢) • وكان للعلماء تأثير كبير في الحياة الاجتماعية ، فمنهم من انتهز تدهور الوضع الاجتماعى فأخذوا يثيرون العامة ضد السلطة الحاكمة ، وعلى رأسهم جماعة اخـوان الصفا(٢١٣) • ومنهم من لعب دورا كبيرا ، في توجيه العامة ، كأبي حيان

---

(٢١٠) الجاحظ _ البيان والتبيين ج٢ ص٢٦٠ •

(٢١١) أحمد أمين _ ظهر الاسلام ج٣ ص٢٢١ •

(٢١٢) أحمد أمين _ ظهر الاسلام ج٣ ص٢٥٥ •

(٢١٣) الدورى _ تاريخ العراق الاقتصادى ص٧٧ •

التوحيدى[٢١٤] • ومنهم من يدفع العامة الى القتال ، بأثارة مذهب ضد مذهب آخر ، كالحنابلة الذين عرفوا بتعصبهم ، وتعديهم على خصومهم من اهل المذاهب ، وقد اقلقوا بال الحكومات في العراق ، وخاصة خلال القرن الرابع الهجرى [٢١٥] • وكان للعلماء من فقهاء ، وقضاة ، منزلة كبيرة لدى رجال الحكم ، والعامة معا ، فيدعون الى مجالس الخلفاء ، وتكون لهم الصدارة في هذه المجالس[٢١٦] •

ولم يكن العلماء يشتغلون بمهن اخرى ، سوى العلم ، اللهم الا العدد القليل منهم[٢١٧] • كما ان غالبيتهم كانت في رغد من العيش • ولم يتميزوا عن غيرهم من سائر افراد الشعب ، الا في الملبس ، فيرتدى القضاة ، والفقهاء ، المبطنة ، والطيلسان الاسود ، والدراعة السوداء[٢١٨] ، والقلانس المستديرة ، التى ظلت مستعملة ، حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، ثم ابدلت بالعمائم السود المصقولة[٢١٩] • وكانوا يلبسون الصوف الابيض ، ولا يلبسون الحرير ، او الملون ، الا في بيوتهم[٢٢٠] •

ب ـ التجـار :

كان اغلبهم يدين بالاسلام ، وأقلية من أهل الذمة ، وبخاصة

---

(٢١٤) احمد امين ـ ظهر الاسلام ج١ ص٢٣٢ •
(٢١٥) ابن الاثير ـ الكامل ج١ ص٢٤٨ •
(٢١٦) الاصفهانى ـ الاغانى ج٩ ص٢٨٥ •
(٢١٧) السبكى ـ قوت القلوب ج٢ ص١٦٨ •
(٢١٨) الاصفهانى ـ الاغانى ج٢ ص٣٩٠ •
(٢١٩) رسوم دار الخلافة ص٩١ •
(٢٢٠) محمود محمد بن عرنوس ـ القضاء في الاسلام ص١٢١ •

اليهود[٢٢١] وهم نوعان ، اولهما كبار التجـار ، ويشملون باعة السلع الثمينة ، والمجوهرات[٢٢٢] وهؤلاء لهم ارتباط بالخليفة ، وحاشيته ، ورجالات الدولة[٢٢٣] ولذلك اقاموا بالمدن الكبرى ، مثل بغداد ، وسامراء ، ليكونوا على مقربة من قصر الخلافة •

أما النوع الثاني ، فهم صغار التجار ، ويتعاطون بيع ، المواد الاستهلاكية، لسد حاجات الناس اليومية[٢٢٤] • ومن ثم اصبحت لهم علاقة قوية بالاسواق •

اتسع نفوذ التجار ، وبخاصة في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، نتيجة ازدياد الترف ، والبذخ ، لدى رجال الحكم ، وعلى رأسهم الخليفة[٢٢٥] • وعلى الرغم من اتصالهم بهؤلاء الرجال ، الا انهم لم يصبحوا يوما في مصافهم اجتماعيا ، وانما كانوا يعتبرون غالبا ، من طبقة العامة ، حتى في نظر الادباء ، والعلماء ، كما جاء على لسان الثعالبي[٢٢٦]. فوضعهم مع السوقة • كما اننا نجد طائفة الاشراف ، حاولت ان تمنع ابناءها من الاشتغال بالتجارة ، لانها فى نظرهم مهنة لا تليق بهم اجتماعيا[٢٢٧] مع ان خلفاء العباسيين ، منذ ان اسست مدينة بغداد ، اهتموا باقامة الاسواق ،

---

(٢٢١) الدورى ــ نشوء الاصناف والحرف في الاسلام ص١٣ •
(٢٢٢) زيدان ــ تاريخ التمدن الاسلامى ج٥ ص٣٨ •
(٢٢٣) التنوخى ــ نشوار المحاضرة ج٨ ص٦٨ •
(٢٢٤) زيدان ــ تاريخ التمدن الاسلامى ج٥ ص٣٨ •
(٢٢٥) التنوخي ــ نشوار المحاضرة ج٨ ص٦٨ •
(٢٢٦) التمثيل والمحاضرة ص١٩٦ •
(٢٢٧) الدورى ــ تاريخ العراق الاقتصادى ص ١١٢ •

في الجانب الغربى منها، واخذوا الجانب الشرقى، مسكنا لهم ولحاشيتهم(٢٢٨) وقد عرفت المنطقة التى تجمعت فيها اسواق بغداد ، باسم الكرخ(٢٢٩) . وكان التجار ، والباعة يجتمعون بها ، ويتعاونون فيما بينهم ، لشعورهم بالرابطة المهنية ، التى تربطهم ببعض ، وكثيرا ما كانوا يشتركون في صد هجمات العيارين ، والشطار ، والعامة ، على متاجرهم(٢٣٠) . وكان التجار يتعرضون في بعض الاحيان ، للمصادرات من قبل الحكومة ، التى قد تستولى على اموالهم ، قبل وصولها الى الاسواق(٢٣١) ، كما ان الخلفاء كانوا احيانا يقترضون من التجار ، لسداد نفقات الدولة(٢٣٢) .

أما عن مستوى معيشة التجار ، فكان مرتفعا ، حتى بالنسبة الى بعض التجار الصغار ، الذين كانوا ينعمون غالبا بكل ضروريات الحياة ، كما انه كان لبعض التجار ، ثقافة عالية ، استمدها من اختلاطه بالعلماء ، وبخاصة في القرن الرابع الهجرى(٢٣٣) .

ج ـ أرباب الحرف والصناع :

كان العرب المسلمون ، ينظرون الى الحرف ، والصناعات ، نظرة امتهان(٢٣٤) حتى القرن الثالث الهجرى ، ثم تغيرت هذه النظرة ، وأصبح ينظر اليها ، والى القائمين بها نظرة تقدير ، وأكد ذلك بعض الكتاب

---

(٢٢٨) اليعقوبى ـ البلدان ص١٢ .
(٢٢٩) غى لسترنج ـ بغداد في عهد الخلافة العباسية ص٢٧٣ .
(٢٣٠) شمس الدين الذهبى ـ العبر في تاريخ من غبر ج٣ ص١٤٦ .
(٢٣١) الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى ص١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٧٠ .
(٢٣٢) التنوخى ـ نشوار المحاضرة ج١ ص٢٦٣ .
(٢٣٣) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١ ص٣٢٨ .
(٢٣٤) صالح العلى ـ التنظيمات الاجتماعية ص٢٧١ .

ـ كالغزالي ـ (٢٣٥) الذين قالوا ان الصناعات اصبحت من ضرورات ، ومستلزمات الحياة الاجتماعية • وذلك لتنوعها وتعددها والتفنن فيها (٢٣٦) •

وكان ارباب الحرف ، في القرن الرابع الهجرى ، على الرغم من اختلاف اديانهم ، ومذاهبهم ، وعناصرهم ، يتكتلون للدفاع عن المشتغلين بمهنتهم ، كما حدث في سنة ٣١٧هـ ، اذ تنازع الصناع ، من البزازين ، ضد بائعى الطعام ، وتقاتلوا (٢٣٧) • وكان اصحاب الحرف ، والصناع يستغلون التدهور الاقتصادى ، في الدولة ، او حدوث اضطرابات سياسية ، فيثورون ضد الحكومة ، مطالبين بتحسين اوضاعهم ، وقد تجلى ذلك في القرن الثالث الهجرى ، حيث تسلط الاتراك •

كان العمال يشكلون عدة عناصر ، وينقسمون الى فريقين : اولهما الاحرار ، وهؤلاء كانوا يقيمون في المدن ، وهم اصحاب الصنائع • أما الفريق الثانى ، فيشمل الرقيق ، وهؤلاء يشتغلون في الفلاحة او خدما في البيوت ، او في الصناعات البسيطة ، كالخياطة ، والحدادة ، والنجارة ، وغيرها • وهؤلاء يشملون السواد الاعظم من الصناع (٢٣٨) •

أما عن مستوى معيشة العمال ، فكان دون مستوى التجار بكثير ، ذلك ان مواردهم ، كانت محدودة ، يقول الدمشقى (٢٣٩) « ان الصانع كان ليس بالفقير ، ولا بالغنى ، لشراء ضيعه • وكان متوسط أجر العامل ، في القرن

---

(٢٣٥) احياء العلوم ـ ج١ ص٢٣٠ •
(٢٣٦) هل ـ الحضارة العربية ص٩٢ •
(٢٣٧) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٦ ص٢٠٦ •
(٢٣٨) هلال بن الصابى ـ الوزراء ص٢٢ •
(٢٣٩) الاشارة الى محاسن التجارة ص٤٣ •

الثالث الهجرى ، درهما ونصف درهم ، في اليوم لصانع الزجاج[٢٤٠] . وازداد الراتب في القرن الرابع الهجرى ، درهما[٢٤١] . وكان اصحاب الحوانيت ، لا يتعدى ايرادهم ٣٠٠ درهم في الشهر [٢٤٢] .

وقد برز من بين صفوف الصناع ، علماء في القراءات ، والحديث ، وبينهم قضاة ايضا [٢٤٣] . كما انهم اصبحوا يهددون المجتمع ، والحكومة ، وذلك نتيجة لتكتلهم ، وسكناهم المدن ، وتطور الحياة الاقتصادية ، وحاجة المجتمع الى مختلف الصناعات[٢٤٤] .

د ـ العـــامة :

لم يكن لهذه الطائفة ، مكانة في المجتمع العراقى ، فقد وصفهم بعض الكتاب ، بالجهل في الامور الدينية[٢٤٥] وفي النواحى الثقافية[٢٤٦] وأطلق عليهم المؤرخون ، عدة تسميات ، منها السفلة الغوغاء[٢٤٧] والسقاط[٢٤٨] والجماهير الدهماء[٢٤٩] والاوباش[٢٥٠] الى غير ذلك من النعوت .

---

(٢٤٠) التنوخى ـ نشوار المحاضرة ج١ ص١٣٤ .
(٢٤١) التنوخى ـ الفرج بعد الشدة ج٢ ص١٥٥ .
(٢٤٢) الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى ص٢٦٠ .
(٢٤٣) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٨ ص١٠١ ، ١٣٣ .
(٢٤٤) الجاحظ ـ ثلاث رسائل ص١٢٦ .
(٢٤٥) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج٣ ص٧٦ .
(٢٤٦) ابن مسكويه ـ تهذيب ص١٢١ .
(٢٤٧) المسعودى ـ مروج الذهب ج٥ ص٨٧ الطبعة الاوربية .
(٢٤٨) ابن منظور ـ لسان العرب ج٧ ص٣١٧ .
(٢٤٩) الغزالى ـ تهافت الفلاسفة ص٣٨ .
(٢٥٠) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٨ ص٤١ .

وكانت تتشكل العامة ، من مختلف الاجناس ، الموجـودة آنذاك في المجتمع البغدادى ، فكان من بينهم العربى ، والديلمي ، والتركى ، والكردى ، وغيرهم من الاجناس[٢٥١] وكان اغلبهم من المسلمين ، وقليل منهم من اهل الذمة[٢٥٢] .

لم يكن للعامة لباس خاص ، تتميز به عن الطبقات الاخرى ، فمن الملابس التى اعتادوا اتخاذها ، لباس الرأس ، وهو يتكون من العمامة الملونة[٢٥٣] والمدرعة المصنوعة من الصوف عادة[٢٥٤] ، والسراويل البيضاء المذيلة[٢٥٥] ، والازار[٢٥٦] والفوط[٢٥٧] وهى خاصة بالخدم منهم[٢٥٨] .

وكان لباس الفلاحين ، مصنوعا من القطن الغليظ ، ويعرف بالاسمال ، والخلقان[٢٥٩] ، والخف ، والنعال .

وكان طعام العامة ، واغلبهم من الفقراء[٢٦٠] يتكون من خبز الشعير

---

(٢٥١) جرجى زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامى ج٥ ص٥١ .
(٢٥٢) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج٣ ص٣٠٤ .
(٢٥٣) ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص١٨٦ .
(٢٥٤) ابن منظور ـ لسان العرب ج٨ ص٨٢ .
(٢٥٥) ابن منظور ـ لسان العرب ج١١ ص٣٣٤ .
(٢٥٦) الازدى ـ حكاية ابى القاسم ص٨٥ .
(٢٥٧) Dozy (R. P. A.) Dict-Vet. Ar. P.P. 339—343.
(٢٥٨) ابن منظور ـ لسان العرب ج٧ ص٣٧٣ .
الزبيدى ـ تاريخ العروس ج٥ ص٢٠٠ .
(٢٥٩) ابن الهبارية ـ الصادح والباغم ص٢٩ .
ابن الجوزى ـ المدهش ص٢٣٣ .
(٢٦٠) التوحيدى ـ الامتاع والموآنسة ج١ ص١٠٧ .

والدبس ، والخل[٢٦١] مع قليل من التمر • وكان يتصدق عليهم في مناسبات الافراح ، والاعياد • ويدفع لهم الصدقات ، الخليفة ، وكبار رجالات الدولة[٢٦٢] •

وكانت دور العامة بسيطة للطبقة الفقيرة ، منهم ، فلم تزد على غرفة واحدة[٢٦٣] وينام بعضهم في المساجد والربط[٢٦٤] •

كان للعامة تأثير كبير ، على حياة المجتمع ، لكونها تشكل السواد الاعظم منه ، فكثيرا ما كانت تثير الاضطرابات ، في المجتمع[٢٦٥] • وتثور على رجال السلطة الحاكمة ، كما حدث سنة ٣٠٧ هـ ، اذ ثارت العامة ، وهاجمت دار حامد بن العباس ، وزير الخليفة المقتدر العباسي[٢٦٦] • كما كان عامة المسلمين ، يثورون احيانا على أهل الذمة[٢٦٧] أو يستغلون الفتن المذهبية ، في اظهار سخطهم على الاوضاع التي يعيشون فيها •

هناك جماعة من العامة ، اطلق عليهم العيارون ، والشطار[٢٦٨] تميزت

---

(٢٦١) الكازروني ـ مقامة في قواعد بغداد ص٢٥ •
ابن الجوزي ـ اخبار الحمقى والمغفلين ص١٢٩ •
(٢٦٢) ابن الجوزي ـ المنتظم ج٧ ص١٦٢ •
(٢٦٣) الشيباني ـ المخارج في الحيل ص٦٨ـ٧٢ •
(٢٦٤) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ج١ ص٣٥٩ •
(٢٦٥) الطبري ـ تاريخ الامراء والملوك ج٧ ص٤٨٣ •
الصولي ـ الاوراق ص١٢٠ ، ١٣٣ •
(٢٦٦) عريب ـ صلة الطبري ص٥٤ •
(٢٦٧) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص١٨١ •
(٢٦٨) القشيري ـ الرسالة ص١١٣ ـ ١١٤ •
المسعودي ـ مروج الذهب ج٦ ص٤٦٢ـ٤٦٣ • الطبعة الاوربية •
ابن الجوزي ـ تلبيس ابليس ص٣٧٨ •
(لم يميز هؤلاء وغيرهم من المؤرخين بين العيارين والشطار تمييزا واضحا وقد اطلقت كلمة فتيان على الجماعتين) •

حركاتها بالطابع الثوري[٢٦٩] وبخاصة ضد السلطة الحاكمة ، واصحاب الأموال[٢٧٠] . وكانت تضم بين صفوفها ، مختلف الاجناس[٢٧١] والطوائف[٢٧٢] . فمن بينهم العربي ، والكردى ، والفارسى ، والتركى ، والسنى ، والشيعى ، فضلا عن ارباب الحرف المختلفة .

وكان لجماعة العيارين ، والشطار ، تنظيمات عسكرية ومدنية . ففيما يتعلق بالتنظيم العسكرى ، كان لكل عشرة عريف ، ولكل عشرة عرفاء نقيب ، ولكل عشرة نقباء قائد ، ولكل عشرة قواد أمير . ولهم بزة عسكرية ، ملونة من خوذ ، مصنوعة من خوص ، وورق من البوارى ، المحشى بالحصى ، والرمل ، والجلاجل في أعناقهم ، والصدف الاحمر والاصفر[٢٧٣] .

أما التنظيم المدنى ، فهو يشمل النواحى الادارية الداخلية ، ولهم مكان خفى يجتمعون فيه ، بعيدا عن الانظار ، وجعلوا لهم طقوسا خاصة ، ومراسيم لابد من ادائها لمن اراد الدخول في تنظيمهم[٢٧٤] وكذلك لباسا يتميزون به عن بقية الناس ، اذ يتزرون بالمئزر في اوساطهم ، ويتشحون بالازار[٢٧٥] وكان لبس السراويل من اختصاصهم[٢٧٦] .

---

(٢٦٩) المسعودى ـ مروج الذهب ج٣ ص٣١٥ .
(٢٧٠) الدورى ـ نشوء الحرف والاصناف ص٣٦ .
(٢٧١) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص٢٢٠ .
(٢٧٢) شمس الدين الذهبى ـ العبر في تاريخ من غبر ج٣ ص١٠٠ .
(٢٧٣) المسعودى ـ مروج الذهب ج٣ ص٣١٥ .
(٢٧٤) ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص٣٧٨ .
(٢٧٥) التنوخى ـ الفرج بعد الشدة ج٢ ص١١٢ـ١١٤ .
مصطفى جواد ـ ازياء العرب مجلة التراث الشعبى ص٥ العدد ٨ .
(٢٧٦) مصطفى جواد ـ ازياء العرب مجلة التراث الشعبى ص٦ العدد ٨ .

بدا ظهور العيارين والشطار ، في هيئة جماعة ، لها تنظيم عسكرى ، اثناء دفاعهم عن بغـداد سنة ١٩٦هـ في الفتنة بين الأمين والمأمون[١٧٧] • ثم في حصار بغداد الثانى سنة ٢٥٠هـ ، اثناء الحرب بين المستعين والمعتز[٢٧٨]• واصبحت لهم خلال القرن الثالث الهجرى ، قوة كبيرة منظمة ، اخـــذت تزداد وتهدد المجتمع ، وبخاصـــة في النصف الثـانى من القـــرن الرابع الهجرى[٢٧٩] حيث احترف بعض افرادها السرقة ، وجعلوا غايتهم نهب الحوانيت ، والاسواق ، وبيوت الاغنياء[٢٨٠] وصاروا بذلك مصـــــدرا للشغب، وعدم استتباب الامن ، يقول ابن مسكويه[٢٨١] « ان العيارين أهل شغب وحملة سلاح ، وكانوا يتقاتلون بالسكاكين» ومن صفاتهم تحملهم الاذى ، وصبرهم على المشاق ، وتعرضهم للضرب بالسياط ، وتقطيع الاوصـــال ، ومختلف انواع التمثيل[٢٨٢] •

ويذكر الصولى[٢٨٣] انهم كانوا يشتركون في المؤامرات ضـــــد الخلافة ، فنهبوا دارها سنة ٣٢٦هـ ، وقد تمكن الامير البويهي عضد الدولة البويهي ، من القضاء على حركاتهم سنة ٣٦٤هـ[٢٨٤] وليس من شك في ان جماعة العيارين والشطار انما وجهت حركاتها التى اتخذت طابع العنف ، والشغب ، ضد رجال الحكم ، والاغنياء ، تحت تأثير ما كانت تعانيه ، من فقر وعوز وحرمان •

---

(٢٧٧) المسعودى – مروج الذهب ج٣ ص٣١٥ •
(٢٧٨) الطبرى – تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٤٣٤ و ص٤٩٠ •
(٢٧٩) التوحيدى – الامتاع والموآنسة ج٣ ص١٦٠ •
المقدسى – احسن التقاسيم ص١٣٠ •
(٢٨٠) زيدان – تاريخ التمدن ج٥ ص٤٦ •
(٢٨١) تجارب الامم – ج١ ص٦٩ •
(٢٨٢) ابن مسكويه – تهذيب ص٨٨ •
(٢٨٣) الاوراق – ص ٩٠ •
(٢٨٤) ابن كثير – البداية ج١١ ص٢٧٩ •

الباب الثاني

مظاهر البذخ والترف عند الخلفاء وكبار رجال الدولة وأثرها في المجتمع العراقي

١ ــ البذخ والترف عند الخلفاء وكبار رجال الدولة ·

٢ ــ أثر الترف والبذخ في المجتمع العراقي ·

الباب الثاني

مظاهر البذخ والترف عند الخلفاء وكبار رجال الدولة وأثرها في المجتمع العراقي

١ ـ البذخ والترف عند الخلفاء وكبار رجال الدولة :

لما استقر الامر للعباسيين ، أخذ خلفاؤهم الاوائل ، كثيرا من نظم الفرس ، وتقاليدهم ، فشيدوا القصور ، واتخذوا الخدم ، والغلمان ، وحذا حذوهم اكثر الخلفاء من بعدهم ، وتبعهم في ذلك القواد ، والامراء ، والوزراء، ورجالات الدولة . وتجنب بعض الخلفاء ، البذخ والاسراف ، كالمهتدى الذى حرم الغناء والشراب ، وجميع وسائل التسلية ، واللهو ، وبنى قبة ذات أربعة أبواب ، سماها قبة المظالم ، كان يجلس فيها للعامة والخاصة [١] وكذلك الخليفة المتقي ، كان كثير الصدقات ، ولم يعمل على جمع الاموال[٢] . ومن الخلفاء من أصبحت لهم رواتب محددة ، في العهد البويهى ، فحـــدد معز الدولة ، راتبا قدره خمسة آلاف دينار شـــهريا للمستكفي[٣] . وكذلك الحال مع المطيع[٤] والطائع[٥] وغير هؤلاء ، وهم الاكثرية من لعب دورا كبيرا ، في تطوير المجتمع ، وبخاصة من ناحيتى الترف ، والبذخ . فيذكر

---

(١) المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص١٧٠ .

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج١١ ص١٩٨ .

(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج١١ ص٢١٢ .

(٤) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج١١ ص٣١٤ و ٣١٥ .

(٥) عبدالرحمن الاربلي ـ الذهب المسبوك ص٢٥٧ .

الخطيب البغدادى [٦] ان تكاليف المنشئات في عهد المنصور ، بلغت أربعة عشر الف الف دينار وثلاثة وثمانين الف درهم • وقد عرف الرشيد ، بميله الى الترف والبذخ ، فأخذ عن الفرس ، بعض مظاهر حياتهم ، وشيد القصور ، وعنى بتزيينها ، وزخرفتها ، وجلب اليها أحسن الفرش • وكان للبرامكة ، تأثير بين على اهتمامه بمثل هذه الحياة المترفة ، وحذا كل من الامين والمأمون ، حذو من سبقهم من الخلفاء ، فاهتم المأمون ، باصلاح القصر الحسني ، وهو قصر الحسن بن سهل[٧] •

ولما أصبحت سامراء ، حاضرة للخلافة العباسية ، بعد أن انشأها الخليفة المعتصم ، سنة ٢٢٢هـ ، كثر بها بناء القصور والدور ، كما حملت اليها الغروس من الشام ، والجبل والرى[٨] • وبنيت دار الخلافة ، على أرض الدير ، الذى اشتراه المعتصم ، حين شرع في بناء هذه المدينة[٩] • وبني الخليفة الواثق ، بسامراء قصر الهاروني ، الذى اشتهر بسعة أروقته • وكان وسط هذه الاروقة ، رواق كبير ، فيه قبة مرتفعة[١٠] • وقد بلغت سامراء الذروة ، في العمران في عهد المتوكل • وقد عرف بشغفه ، ببناء القصور ، اذ بلغ عدد القصور ، التى شيدها تسعة عشر قصرا[١١] ، وبلغ مجموع ما انفق على

---

(٦) تاريخ بغداد – ج١ ص٧٣–٧٤ «وقال آخرون بلغت التكاليف ثمانية عشر الف الف دينار ويتكون البناء من الايوان وفوقه القبة الخضراء ومن حولها الابواب الاربعة » •

(٧) الخطيب البغدادى – تاريخ بغداد ج١ ص٩٩ •

(٨) اليعقوبى – البلدان ص٢٨–٣٢ •

(٩) ابن الطقطقى – الفخرى في الاداب السلطانية ص٢١٢ •

(١٠) الطبرى – تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣١٩ •

(١١) الشابشتى – الديارات ص٢٣٠ •

بنائها ، أربعة وتسعين ألف الف درهم[١٢] • ومن أشهر قصوره ، قصر العروس ، والشاه ، والبديع ، والغريب ، والبرج[١٣] • وأضاف ياقوت الحموى[١٤] الى هذه القصور ، المختار ، والجعفرى ، والجوسق ، والقلائد ، واللؤلؤ ، وغيرها ، كما بنى المتوكل عدة مساجد ، وانشأ الترع ، والقنوات ، لتوصيل المياه الى قصوره ، وبساتينه وحدائقه[١٥] • ويذكر الطبرى[١٦] ، ان المتوكل أمر ببناء الماحوزة ، وسماها الجعفرى ، وأنفق عليها أكثر من ألفى ألف دينار • وكان يسميها هو ، وأصحابه (بالمتوكلية) • وانتقل اليها ، في أول يوم من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين[١٧] ، وأقام لهذه المناسبة ، احتفالا كبيرا ، أجاز فيه الناس بالجوائز السنية[١٨] ، وقال « علمت الآن أني ملك ، اذ بنيت لنفسي مدينة اسكنها»[١٩] • ولم يمض على ذلك تسعة أشهر ، حتى قتل ، وخلفه ابنه المنتصر الذى عاد الى سامراء من المتوكلية ، بعد مقتل ابيه[٢٠] •

ويتبين لنا من وصف أحد قصور المتوكل ، مدى ما وصل اليه البذخ والاسراف في عهده ، فمن خيرة قصوره ، البرج انشأ فيه بركة عظيمة ، بلطت

---

(١٢) ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ج٥ ص١٥ ، ١٦ •
(١٣) تاريخ اليعقوبى ـ ج٢ ص٤٩٢ •
(١٤) معجم البلدان ـ ج٥ ص١٥ •
(١٥) اليعقوبى ـ البلدان ص٣٣ •
(١٦) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٨٢ •
(١٧) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٨٨ •
(١٨) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٨٢ •
(١٩) اليعقوبى ـ البلدان ص٣٣ •
(٢٠) اليعقوبى ـ البلدان ص٣٤ •

من الداخل والخارج ، بصفائح من الفضة ، وفي وسطها شجرة من الذهب، فيها كل طائر يصفر ، مكلل بالجوهر ، وفي القصر سرير من الذهب ، كبير عليه صورتا سيفين كبيرين ، ورسم عليه صور السباع ، وحيطان القصر الداخلية والخارجية ، محلاة بالفسيفساء ، والرخام ، والذهب(٢١) . وكان المتوكل يقيم فيه ، مجالس الغناء والندماء والطرب .

أما الجوامع ، فكان أعظم ما شيده المتوكل في سامراء ، المسجد الجامع في نفس موقع الجامع الكبير ، الذى شيده المعتصم من قبل ، وجعله أكبر من السابق ، وفتح له ثلاثة مداخل ، من ثلاثة شوارع(٢٢) . ويقول المقدسي(٢٣) : « أنه كان أجمل من جامع دمشق ، طليت حيطانه بالميناء ، وأساطينه بالرخام ، ويتميز بمنارته الطويلة الملوية» ويتسع هذا الجامع الى ثمانين الفا من المصلين(٢٤) وبلغت مساحته ، اربعين الف فدان(٢٥) اما النافورة ، التى انشأت في وسط المسجد ، فكان ماؤها لا ينقطع(٢٦) ، يقول البلاذرى(٢٧) ان الملوية جعلت طويلة ، لتعلو على أصوات المؤذنين حتى ينظر اليها من بعيد . وكان المسجد الجامع ، في مدينة المتوكلية ، يعرف بجامع أبي

---

(٢١) الشابشتي ـ الديارات ص١١٣ .
اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧ .
(٢٢) اليعقوبي ـ البلدان ص٣٣ .
(٢٣) احسن التقاسيم ص١٢٢ .
(٢٤) زكي محمد حسن ـ فنون الاسلام ص٥٤ .
(٢٥) Herzfield — Samarra P. 19
(٢٦) احمد سوسه ـ ري سامراء ج١ ص١١١ يقول انها كانت تصل المياه الى مدينة سامراء .
(٢٧) فتوح البلدان ـ ص٢٩٧ .

دلف[٢٨] ، وهو مستطيل الشكل ، له صحن مكشوف ، محاط من جميع الجهات بأروقة[٢٩] .

وقد ظلت سامراء ، تسير في طريق الحضارة ، حتى تركها المعتضد ، وانتقل الى بغداد ، فنقل العمران الى هذه المدينة[٣٠] ، وعنى بتجديد بعض مبانيها ، وتشييد القصور الفخمة بها ، فنزل بالقصر الحسنى ، الذى عرف بدار الخلافة ، وأضاف اليه ما جاوره من الارض ، وأحاطه بسور[٣١] ، كذلك وضع المعتضد ، اساس قصر التاج ، في الجانب الشرقى من بغداد[٣٢] ، لكنه ما لبث أن عدل عن اتمام بنائه ، وأتمه ابنه الخليفة المكتفي من بعده[٣٣] . وبنى المعتضد كذلك ، قصر الثريا المعروف ، وأنفق عليه أموالا كثيرة ، وأوصله بقصر الحسنى ، عن طريق نفق تحت الارض[٣٤] ووصفه ابن المعتز بقوله :

حللت الثريا خير دار ومنزل فلا زال معمورا وبورك من قصر
جنان وأشجار تلاقت غصونها فأورق بالاثمار والورق الخضر

ويتجلى لنا ترف الخلفاء العباسيين ، في وصف دار الشجرة ، وهى

---

(٢٨) المسعودى ــ مروج الذهب ج٤ ص٣٨ ٠ طبعة ١٩٦٥ ٠
(٢٩) احمد سوسه ــ رى سامراء ج١ ص١٣٧ــ١٣٨ ٠
(٣٠) محمد جمال سرور ــ تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٧٦ ٠
(٣١) الخطيب البغدادى ــ تاريخ بغداد ج١ ص٩٩ ٠
(٣٢) ياقوت الحموى ــ معجم البلدان ج٥ ص٣٤٨ــ٣٥٠ ٠
(٣٣) محمد جمال سرور ــ تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٧٦ ٠
(٣٤) ياقوت الحموى ــ معجم البلدان ج١ ص٨٠٨ طبعة ايران ٠

احدى قصور المقتدر ، وصفها الخطيب البغدادي[٣٥] بقوله : عندما دخل رسول الروم الى دار الشجرة ، ورآها ، كثر تعجبه منها ، وكانت شجرة من الفضة ، وزنها خمسمائة ألف درهم ، عليها أطيار ، مصنوعة من الفضة ، تصفر بحركات ، قد جعلت لها ، وكانت الشجرة ، في وسط بركة مدورة كبيرة ، فيها ماء صاف • ويقول الخطيب[٣٦] ، ايضا ان عدد الستور ، التى علقت على حيطان دار الخلافة ، في عهد المقتدر ، بلغ ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج • أما عن البسط ، التى وطىء عليها رسل امبراطور الروم، فكان عددها اثنين وعشرين ألفا • ومن هذا الوصف ، نستطيع ان نقف على مقدار البذخ ، والاسراف ، في بناء القصور ، وتأثيثها ، وتزيينها • ويقول هلال ابن الصابىء[٣٧] عن الحجاب ، والغلمان ، والخدم الذين كانوا بدار الشجرة ، اثناء احتفال المقتدر ، باستقبال سفيرى امبراطور الروم : ورتب الحجاب ، وخلفاؤهم ، والحواشي ، على طبقاتهم ، على أبوابها ، وفي دهاليزها ، وممراتها ، ومخترقاتها ، وصحونها ، ومجالسها ، ووقف الجند ، على اختلاف أجيالهم ، صفين ، بالثياب الحسنة ، وتحتهم الدواب ، بمواكب الذهب والفضة ، وبين أيديهم الجنائب ، على مثل هذه الصورة ، وقد أظهروا العدد ، والاسلحة الكثيرة ، وبعدهم الغلمان الحجرية ، والخدم ، والخواص، والترانية ، الى حضرة الخلافة ، بالبزة الرائعة ، والسيوف ، والمناطق المحلاة •

وكان للخليفة المقتدر ، حوالى أحد عشر ألف مملوك ، من الصقالبة ،

---

(٣٥) تاريخ بغداد ـ ج١ ص١٠٢ـ١٠٤ •
(٣٦) تاريخ بغداد ـ ج١ ص١٠٢ـ١٠٣ •
(٣٧) رسوم دار الخلافة ص١١ و ١٢ •

والروم ، والسودان ، وعدد كبير من الغلمان الحجرية • كما اشتملت دار الخلافة ، في عهد المكتفي ، على عشرين ألف غلام دارية[٣٨] وعشرة آلاف من السودان ، والصقالبة[٣٩] •

وعرف الخليفة الراضي ، بحبه للبناء واسرافه ، يروى لنا التنوخي[٤٠] أن أبا بكر الصولي ، حكى لابي حكاية ، عن بذخ الراضي واسرافه : دخلت يوما على الراضي ، مع جماعة من الندماء ـ وكان مشغولا بالبناء ، جالسا على آجرة ، حيال الصناع ـ ، فطلب منا الجلوس ، فجلس كل واحد منا على آجرة ، واتفق أن جلست على آجرتين ملتزمتين فلما قمنا أمر بأن توزن آجرة كل واحد ، ويدفع اليه ، بوزنها دراهم أو دنانير •

اما الخلفاء ، في العهد البويهي بالعراق ، فلم ينعموا بمظاهر البذخ والترف ، كخلفاء القرن الثالث الهجري ، لان امراء بني بويه حددوا رواتبهم، وأقطاعاتهم[٤١] ، وانتقلت الثروة الى يد بني بويه ، فالمستكفي مثلا ، خصص له راتب شهري ، لا يتجاوز الخمسة آلاف دينار[٤٢] • وهكذا كان الحال الطائع والمطيع • فلم تشيد قصور للخلفاء ، في تلك الفترة ، سوى بناء قصور، لامراء بني بويه ، سنأتي على ذكرها •

هناك نواح أخرى ، من مظاهر البذخ والترف ، تجلت في قصور

---

(٣٨) هم المختصون بملازمة دار الخلافة وحماية الخليفة •

(٣٩) هلال بن الصابئ ـ رسوم دار الخلافة ص٨ •

(٤٠) نشوار المحاضرة ـ ج١ ص١٤٥ •

(٤١) ابن مسكويه ـ تجارب الامم ج٢ ص٨٧ و ١٠٨ •

(٤٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج١١ ص٢١٢ •

الخلفاء ، وهى الملابس ، فقد أخذوا عن الفرس ، انواعا مختلفة منهـــا ، وتفننوا في حياكتها ، وتطريزها ، وتزيينها بالذهب والجـــواهر • وكان للملابس أصول ، وقواعد ، من حيث نوعها ، وألوانها ، وأوقات لبسها • ومن بين الالبسة ، التى اتخذها الخلفاء عن الفُرس ، القلانس(٤٣) فوضعوا العمائم فوقها ، وزينوها بجوهرة غالية • فقد أمر المنصور بلبسها سنة ١٢٣ ، تشبها بالفُرس ، وأبطلها الرشيد ، ثم اعادها المعتصم ، وسميت بالمعتصميات ، وصغـرت في عهد المستعين(٤٤) ، وكـذلك الطيالســة(٤٥) والاقبيــة(٤٦) والسراويل(٤٧) والجوارب(٤٨) وغيرها من الالبســـة • كما لبســـوا الحرير(٤٩) والديباج(٥٠) والاقمشة الموشاة بالذهب والفضة(٥١) • ومن ملابس الخلفاء ايضا ، الدراعة(٥٢) الديباج المفردة(٥٣) والخضراء المصنوعة

---

(٤٣) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٦ ص٢٩٦ •
المسعودى ـ مروج الذهب ج٨ ص٣٠٢ و ٤٠٢ •
(٤٤) سيد أمير على ـ مختصر تاريخ العرب ص٣٨٧ •
(٤٥) الجاحظ ـ البيان والتبين ج٢ ص٣٤٢ •
Dozy (R.P.3) Dict vet, Ar. P. 254—258.
الهمدانى ـ مقامات ص٣٧ •
(٤٦) هلال بن الصابىء ـ رسوم دار الخلافة ص٩١ •
(٤٧) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص١٤٤ •
الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص١٣٩ •
(٤٨) الجاحظ ـ التاج ص١٥٣ •
(٤٩) الثعالبى ـ فقه اللغة ص١٧ •
(٥٠) الشابشتى ـ الديارات ص١٣٠ •
(٥١) الوشاء ـ الموشى ص١٧٨ •
(٥٢) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٤١ ، ص٨٠ •
(٥٣) التنوخى ـ نشوار المحاضرة ج١ ص١٩١ •

من الخز[٥٤] وكذلك الجبة السوداء[٥٥] وهي دليل على الحشمة ، والوقار ، كما لبسوا الجبة الخضراء ، المصنوعة من الحرير ، أو الخز ، وهي غالية الثمن[٥٦] . وتكون عادة طويلة ، عريضة الاكمام والجيوب[٥٧] . وزادوا على هذه الالبسة ، لبس السلسلة الذهبية ، المرصعة بالجواهر[٥٨] .

وكان الخلفاء وحدهم ، دون سائر افراد المجتمع ، يلبسون الخفاف الحمر ، في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة[٥٩] . وللخلفاء ايضا ، لباس خاص ، بالمواكب والاحتفالات ، يشتمل على العمامة السوداء ، أو الرصافية[٦٠] وبردة الرسول[٦١] .

أما ملابس المرأة ، في قصور الخلفاء ، فكان منها الديباج[٦٢] والموشاة بالذهب والفضة والجواهر[٦٣] ، وثياب الخز والابريسم[٦٤] وكانت المرأة ، في قصور الخلفاء ، تتفنن في اختيار ألوان ثيابها ، فلا تلبس الثياب الصفراء ، والسوداء ، والخضراء ، والموردة ، والحمراء ، ما عدا

---

(٥٤) الشابشتي – الديارات ص٢٩ .
(٥٥) البيهقي – المحاسن والمساوىء ص٤٩٩ .
(٥٦) الشابشتي – الديارات ص٢٩ .
يقول دوزى ان العامة لبست الجبة ايضا .
Dozy (R.P.A) Dict vet, Ar. P. 109.
(٥٧) ابن الجوزى – تلبيس ابليس ص١٨٤ .
(٥٨) سيد أمير علي – مختصر تاريخ العرب ص٣٨٧ .
(٥٩) ابن الجوزى – اخبار الظراف ص٤٨ .
(٦٠) (نسبة الى منطقة الرصافة وهي الجزء الغربي من بغداد) .
(٦١) هلال بن الصابىء – رسوم دار الخلافة ص٩٠ .
(٦٢) الخالديان – الهدايا ص١٦٧ .
(٦٣) الخالديان – الهدايا ص١٦٧ .
(٦٤) المقدسي – احسن التقاسيم ص١٢٨ .

اللاذ[65] والحرير ، والقز ، والديباج ، والموشى ، والخز[66] • كذلك اتخذت نساء الخلفاء ، الازار[67] وهو يتكون ، من قطعة قماش كبيرة ، تلف على الجسم ، تعقد على وسطه ، من تحت السرة (وتلبسه المرأة ايضا ، خارج البيت) • • وتفنن في حياكته[68] ، فوضعن فيه الزنابير ، وخيـــوط الابريسم[69] والذهب[70] ليزيدهن جمالا وأناقة • ويتفنن ايضـا ، في البسة الراس ، فوضعن الجواهر ، والاحجار الكريمة[71] على العصائب السوداء ، وعلى البرانس • وقد حكي : ان جوارى الرشيد ، كن أول من لبسن العصائب ، المرصعة بالدر والياقوت[72] •

أما لباس الاقدام ، فكان يشمل ، النعال ، والخفـاف ، والجـوارب • فأتخذت السيدة زبيدة ، النعال المرصعة بالجـــواهر ، ولبست السيدة أم المقتدر ، النعال المصنوعة من ثياب دبيقية[73] • نود ان يعرف القارىء بان هناك بحثا مفصلا عن الملابس في العراق خلال العصور العباسية منشورا في المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث عشر سنة ١٩٦٨ لمؤلف هذا الكتاب •

---

(٦٥) الوشاء ـ الموشى ص١٨٥ نوع من الحرير الصينى الاحمر •

(٦٦) الوشاء ـ الموشى ص١٨٥ •

(٦٧) الجاحظ ـ البيان والتبين ج١ ص١١٤ •
ابن الجوزى ـ الحمقى والمغفلين ص١٧٧ •

(٦٨) ابن الجوزى ـ الحمقى والمغفلين ص١٧٧ •

(٦٩) الاصفهانى ـ الاغانى ج٧ ص٣٠٢ •

(٧٠) الف ليلة وليلة ـ ج١ ص٢٠ •

(٧١) سيد أمير علي ـ مختصر تاريخ العرب ص٣٨٩ •

(٧٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج٨ ص١٣٥ •

(٧٣) التنوخي ـ نشوار المحاضرة ج١ ص١٤٢ـ١٤٣ •
قد ورد اسم الدبيقى مرارا في فهرس كتاب
Sergeant (R.B) M. It.
نسبة الى بلدة دبيق وهى من اعمال دمياط •

أما أدوات الزينة ، فقد اهتمت بها نساء القصور ، اهتماما كبيرا ، وكانت تشمل قلائد[٧٤] وأكاليل ، وتيجانا[٧٥] توضع فوق الرأس ، ومناطق من الذهب ، المرصع بالجواهر[٧٦] وخلاخل تلبس في الارجل[٧٧] وغيرها من أدوات الزينة .

ومن مظاهر الترف والبذخ ، اقتناء الخلفاء ، ونسائهم ، المجوهرات الثمينة ، بأنواعها المختلفة ، وقد عرف المقتدر ، بأنه كان يمتلك كمية كبيرة من المجوهرات ، كالدرة اليتيمة[٧٨] التى يزيد وزنها على ثلاثة مثاقيل ، والمسبحة التى أهداها لزيدان القهرمانة[٧٩] وغيرها من المجوهرات .

وكانت تنفق أموال كثيرة ، في اقامة حفلات الزواج ، والختان ، وأحسن مثل لذلك ، زواج بنت الحسن بن سهل ، بالخليفة المأمون العباسى[٨٠] . وكذلك زفاف قطر الندى ، بنت خمارويه بن أحمد ابن طولون ، للخليفة المعتضد العباسى[٨١] ولم تكن حفلات الختان ، التى يقيمها بعض الخلفاء ، تقل عن حفلات الزواج في البذخ والاسراف ، فيروى ان الخليفة المتوكل ، جلس بعد حفل ختان ابنه عبدالله المعتز ، حيث ومدت بين يديه

---

(٧٤) الهمدانى ـ مقامات ص٩١ .

(٧٥) الشابشتى ـ الديارات ص١٠٠ .

(٧٦) الهمدانى ـ مقامات ص٩٧ .

(٧٧) ابن الهبارية ـ الصادح والباغم ص٧ .

(٧٨) ابن الطقطقى ـ الفخرى في الآداب السلطانية ص٢٣٣ .

(٧٩) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص١٥٤ .

(٨٠) ابن الساعى ـ نساء الخلفاء ص٦٩ـ٧٠ .

(٨١) المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص ١٧٠ ـ

مرافيع[٨٢] ذهب ، مرصعة بالجواهر ، وعليها أمثلة [٨٣] من العنبر ، والند ، والمسك المعجون ، فوضعت بين ايديهم ، صواني الذهب ، مرصعة بأصناف الجواهر ، من الجانبين ، وبين السماطين فرجة ، جاء الفراشون بزنابيل ، مملوءة دراهم ودنانير نصفين ، فصبت في الفرجة ، حتى ارتفعت الصواني ، وأمر الحاضرون أن يشربوا • وأن ينتقل كل من شرب ، من تلك الدنانير ، بثلاث حفنات ما حملت يده • وكلما جف موضع ، صب عليه من الزنابيل ، حتى يرد الى حالته ، ووقف غلمان ، في آخر المجلس فصاحوا « ان امير المؤمنين يقول لكم : ليأخذ من شاء ، ما شاء » ، فمد الناس أيديهم ، الى المال ، فأخذوه ، وخلع على ألف موكب ، بالذهب والفضة ، وأعتق ألف نسمة[٨٤] •

ولم يكن الخليفة المقتدر ، أقل اسرافا من المتوكل ، في مثل هذه الحفلات ، فقد روى : أنه أنفق ستمائة الف دينار ، في يوم ختان أولاده الخمسة سنة ٣٠٢هـ • وختن معهم طائفة من اليتامى ، وأحسن اليهم[٨٥] •

وليس من شك ، في أن البذخ والترف ، عند الخلفاء خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، كان له نتائج سيئة ، بالنسبة لبيت مال الدولة ، الذى تحمل عبء هذه النفقات •

ولم تكن قصور الامراء ، تقل روعة عن قصور الخلفاء ، بصورة عامة ، فقد انتقلت الثروة ، في عهد أمراء بني بويه ، من أيدى الخلفاء اليهم ، فكان معز الدولة بن بوية ، يقيم في قصر فخم ، امتد أساسه في الارض ، تسعة

---

(٨٢) جمع مرفاع وهو الحامل وما يرفع به •
(٨٣) تماثيل •
(٨٤) الثعالبى ـ لطائف المعارف ص ١٢٢ـ١٢٣ •
(٨٥) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص١٥٣ •

وثلاثين ذراعا(٨٦) . وقد الحق بهذا القصر ، اصطبلات ، وميدان واسع ، يطل على دجلة . ويصل ما بين القصر ، والبستان ، بني في محلة الشماسية(٨٧) ، انفق عليه ، ثلاثة عشر الف درهم(٨٨) . ويصف هلال ابن الصابىء(٨٩) مظاهر الترف والابهة ، التى تجلت في احتفال صمصام الدولة ، باستقبال أحد كبار رجال الروم ، في دار المملكة المعزية البويهية ، التى تقع في الجانب الشرقى من بغداد بقوله : لقد فرشت دار المملكة ، بالفروش العضدية ، وعلقت الستور والديباج ، على جميع أبواب بيوتها ، ودهاليزها ، وممراتها ، وصحونها ، وأقيم الديلم من دجلة ، الى حضرة صمصام الدولة ، على مراتبهم صفين ، بأجمل لباس ، وأبهى عدد وسلاح.. ، وجلس صمصام الدولة ، في قبة على مكان مرتفع ، ووضعت بين يديه ، الكوتين الذهب ، فيها قطع العود ، تتقد وتتبخر .

وكان عضد الدولة ، وهو م نأعظم أمراء بني بويه ، يمتلك ثروة كبيرة ، بلغت ثلاثين ألف ألف دينار ، وعشرين الف الف درهم(٩٠) . وقد أنشأ بستانا ، بلغت النفقة عليه ، وعلى سوق الماء اليه ، خمسة آلاف ألف درهم(٩١) .

وعرف فخر الدولة البويهى ، بحبه لجمع الاموال ، والمجوهرات ،

---

(٨٦) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص١٦٠ .
(٨٧) التنوخى ـ نشوار المحاضرة ج١ ص٧٠ـ٧١ .
(٨٨) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج١١ ص٢٣٧ .
(٨٩) رسوم دار الخلافة ـ ص١٥ـ١٧ .
(٩٠) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج١ ص٤٨ .
(٩١) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١ ص١٠٧ .

والمتاع . وكان يتم ، عن طريق مصادراته ، لاموال وزرائه ، واصحابهم ، حتى بلغت تركته ، ألف ألف وثمانمائة ألف وخمسة وسبعين ومائتين ، وأربعة وثمانين دينارا (١٧٥ر٢٨٤ر١) . فضلا عن مقادير كبيرة من الذهب ، والفضة ، والجواهر ، والحلى ، بأنواعها المختلفة(٩٢) .

كذلك ، عنى كثير من الامراء ، بتأثيث دورهم ، بالفرش الغالية الثمينة . وكانت تفرش ، بيوت رجالات الدولة ، من أمراء ، ووزراء وقواد ، عادة بالزوالى المغربية ، والمقاعد التسترية ، والاقطاع المذهبة المغربية(٩٣) . والمطارح الارمنية(٩٤) ، والديباج التستر المقصب بالذهب(٩٥) ، والدسوت الشقيرية المفصلة بالذهب(٩٦) والمخاد المذهبة الدبيقية(٩٧) ، والحصر السامانية(٩٨) ، وغير ذلك من المفارش والاقمشة .

وهناك مظاهر أخرى ، تدل على الترف ، والاسراف ، والبذخ ، عند الامراء ، منها نفقات الزواج ، التى بلغت مئات الالوف ، من الدنانير والدراهم(٩٩) . فأنفق أمير الامراء ، محمد بن رائق الخزرى ، خمسة عشر الفا من الدنانير ، في حفل زواجه(١٠٠) . كذلك عرف ابن رائق ايضا ، باسرافه في اقتناء الجوارى ، اذ أنفق في عهد الراضى ، سبعة عشر ألف

---

(٩٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص١٨٥ .
(٩٣) الزبيدى ـ تاج العروس ج٧ ص٣٥٩ .
(٩٤) الزبيدى ـ تاج العروس ج٢ ص١٨٩ .
(٩٥) ابن سيدة ـ المخصص ج٤ ص٧٦ .
(٩٦) ابن سيدة ـ المخصص ج٤ ص٧٦ .
(٩٧) الرازى ـ مختار الصحاح ص٥٥٠ .
(٩٨) ابن سيدة ـ المخصص ج٤ ص١٠٢ .
(٩٩) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص١٦٥ .
(١٠٠) الازدى ـ حكاية ابى القاسم ص٧٥ .

دينار ، في شرائهن ، فاستعظم الناس ذلك • وعرف بجكم التركى ، الذى تقلد أمرة الامراء ، في أيام الخليفة الراضى العباسى ، بميله الى الاسـراف والبذخ ، وبخاصة في الحفلات ، التى يقيمها في بعض المناسبات ، فقد روى أن احتفاله بعيد المهرجان ، كان اعظم وأفخم من حفلات الخليفة الراضى[١٠١] • وكذلك سبكتكين التركى ، الذى كان حاجبا لمعز الدولة بن بويه ، ثم ترقى في المراتب ، حتى قلده الخليفة الطائع ، الامارة ولقب بنور الدولة • كان يملك دارا تسمى (دار الملك) ، وهى دار عظيمة ، وقد ترك بعد وفاته أموالا كثيرة ، من دنانير ، ومتاع ، وجواهر ، وبلور[١٠٢] •

أما الوزراء ، فان قصورهم في العصر العباسى الاول ، لم تكن تقل روعة وعظمة ، عن قصور الخلفاء ، وأحسن مثل على ذلك ، قصر جعفر البرمكى ، الذى سمي بقصر الحسنى ، ثم اصبح دار الخـلافة[١٠٣] • كذلك كان بعض الوزراء ، كالوزير علي بن الفرات ، في عهد الخليفة المقتـدر ، يملك أموالا كثيرة ، وقد أعد له ، أحد دور أبناء الخلفاء ، ليقيم فيهـا[١٠٤] • وكانت تتميز ، باتساعها ، وبكثرة الرياش ، والاثاث الثمين ، وكان الوزير علي بن الفرات ، يملك من العين ، والورق ، والضياع ، والاثاث ، ما يحيط بعشرة آلاف الف دينار[١٠٥] • وكان بداره مطبخان ، مطبخ الخاصة ، ومطبخ العامة ، الذى يختص بما يقدم الى الحجاب المقيمين بالدار ، ويفرق منه للرجالة ، والبوابين ، وأصاغر الكتاب ، وغلمان أصحاب الدواوين • وكان يقدم الى هذا المطبخ ، كل يوم تسعون رأسا من الماعـز ، وثلاثون

---

(١٠١) المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص٢٦٢ •
(١٠٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص٥٧ •
(١٠٣) الخطيب البغدادى ـ تاريخ ج١ ص٩٩ •
(١٠٤) هلال بن الصابىء ـ الوزراء ص٣٦ •
(١٠٥) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ج١ ص٣٥٠ •

جديا ، فضلا عن عدد وفير من الدجاج . وهناك خبازون ، يخبزون الخبز ليلا ونهارا ، وقوم يعملون الحلواء ، عملا متواصلا ، ودار كبيرة للشراب[(١٠٦)] . وكانت ضياع هذا الوزير ، تغل في كل سنة ، الفي ألف دينار[(١٠٧)] ويذكر ان قصره ، يعتبر مدينة بذاتها[(١٠٨)] . وكان سعر القراطيس ، والشمع ، والثلج ، والخيش[(١٠٩)] يزداد زيادة كبيرة ، عندما يتقلد ابن الفرات الوزارة ، وكان ذلك معروفا لدى التجار[(١١٠)] . وكان للوزير ابن مقلة ، قصر كبير أنفق على بنائه ، مائة الف دينار ، ألحق به بستانا كبيرا[(١١١)] . ومن الوزراء الذين ظهروا بمظاهر الابهة ، حامد بن العباس الذى ولي الوزارة ، سنة ٣٠٦هـ ، وكان في داره ، نيف وثلاثون مائدة[(١١٢)] ينفق عليها في كل يوم ، مائتى دينار ، ويدعو الوافدين على داره ، من رجال الدولة ، والاعيان ، والعامة ، الى تناول الطعام ، اذا حان وقته . وقد أهدى هذا الوزير ، الى الخليفة المقتدر ، بستانا أنفق على انشائه، مائة الف دينار . وكان لهذا الوزير ، الف وسبعمائة حاجب ، واربعمائة مملوك يحملون السلاح[(١١٣)] .

واذا ما انتقلنا الى العهد البويهى ، في العراق وبخاصة في القرن الرابع الهجرى ، فقلما نجد وزيرا ، يمتلك ثروة كبيرة ، أو عاش معيشة قوامها الترف ، كما كانت الحال ، في عهد ازدياد نفوذ الاتراك ، وذلك أن الثروة،

---

(١٠٦) هلال بن الصابىء – الوزراء ص٢١٥–٢١٦ .
(١٠٧) احمد أمين – ظهر الاسلام ج١ ص١٠٤ .
(١٠٨) محمد جمال سرور – تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٧٧ .
(١٠٩) (قماش غليظ الخيوط يتخذ من الكتان أو من القصب) .
(١١٠) الثعالبى – ثمار القلوب ص٢١٢ .
(١١١) ابن الجوزى – المنتظم ج٦ ص٢٣١ .
(١١٢) ابن الجوزى – المنتظم ج٦ ص١٨٠ .
(١١٣) محمد جمال سرور – الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٧٧ .

انتقلت الى يد الامراء ، ولكن هناك وزراء قلائل ، جمعوا ثروات ، من أمثال أبو محمد الحسن المهلبى ، وزير معز الدولة البويهي ، الذى كان يملك دارا كبيرة ، تعرف بدار البركة[١١٤] . كما كان مترفا في حياته ، فقيل : انه ابتيع له في ثلاثة أيام ، ورد ، بألف دينار . وكان راتب ، أبي طاهر محمد بن بقية وزير عز الدولة ، بختيار من الثلج في كل يوم ، الف رطل[١١٥] .

٢ ـ أثر الترف والبذخ في المجتمع العراقى :

لم يكن الترف والبذخ ، الذى نعم به الخلفاء ، والامراء ، ورجالات الدولة ، خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، سائدا بين جميع طبقات المجتمع العراقى ، فغالبية السكان ، هم من الطبقة العامة ، التى تضم الصناع ، والفلاحين ، وعدد كبيرا من العلماء ، والادباء . وكان مستوى معيشة هذه الطبقة ، متباينا ، فيذكر التنوخي : أن الباعة المتجولين ، الذين يعرضون سلعهم على قارعة الطريق ، قد يبيعون بدرهمين في اليوم . وقد يصل اجر المعلم ، الى درهمين ، أو ثلاثة في اليوم[١١٦] ، اما الطبيب ، الذى يعالج العامة ، فيصل أجره ، الى اربعة دراهم يوميا[١١٧] ، وهناك فريق ، من طبقة العامة ، يبلغ دخل الفرد منهم ، ثلاثين دينارا شهريا[١١٨] ، وكانت دورهم ، بسيطة لا تتجاوز الطابقين[١١٩] .

---

(١١٤) التنوخي ـ نشوار المحاضرة ج١ ص١٤٧ .

(١١٥) احمد امين ـ ظهر الاسلام ج١ ص١٠٤ .

(١١٦) التنوخى ـ نشوار المحاضرة ج١ ص١٣٤ .

(١١٧) ابن مسكويه ـ تجارب الامم ج٢ ص١٩٨ .

(١١٨) الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى ص٢٠٩ .

(١١٩) ابن الجوزى ـ الاذكياء ص٦٠ .

هذا التفاوت الطبقى ، في المعيشة بين حياة الترف لدى الخلفاء ، واتباعهم ، وبين طبقة العامة ، أدى الى نتائج وآثار ، في المجتمع العراقى ، فمنها ، قيامهم بالثورات ضد حكامهم ، للمطالبة بزيادة أجورهم ، وتوفير وسائل المعيشة لهم ، ويذكر ابن مسكويه[١٢٠] حوادث كثيرة ، تتعلق بثورات الجند ، والعامة ، منها ما حدث سنة ٣٠٧هـ ، حيث قامت ثورة ، ضد الوزير حامد بن العباس • وهناك ثورات خطرة ، شغلت الدولة العباسية ، عدة سنوات ، وكلفتها كثيرا ، من الاموال ، والدماء ، نخص بالذكر ثورة الزنج[١٢١] ضد ملاك الارض ، وثورة الزط[١٢٢] وثورات العيارين والشطار ، على الحكام •

كان لحياة الترف ، التى نعم بها الخلفاء ، تأثير سوء في الدولة ، اذ عمد بعضهم ، الى مصادرة اموال وزرائهم ، وكبار رجال دولتهم ، كالحجاب ، والعمال ، والقواد ، رغبة في ابتزاز الاموال • فالخليفة الواثق ، أكثر من مصادرة موظفيه ، حتى أصبحت المصادرات ، سنة سيئة ، لمن خلفه ، ومصدرا يعول عليه ، في أوقات الحاجة ، ففى سنة ٢٢٩هـ ، حبس الكتاب ، وألزمهم بدفع اموال كثيرة[١٢٣] • كما عمد الخليفة المتوكل ، الى المصادرات ، وذلك لحاجته الى الاموال ، في بناء قصوره ، ولحياته الخاصة المترفة ، فقد صادر اموال شخصيات كثيرة ، من بينهم اسحاق بن ابراهيم بن

---

(١٢٠) تجارب الامم ـ ج١ ص٧٣ـ٧٤ •
(١٢١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٦ ص١٦٣ •
(١٢٢) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٢٢٤ •
(١٢٣) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٧ ص٧ •
الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٢٣٢ •

مصعب ، وكذلك صادر اموال اخيه ، وأخذ منه ثلاثين الف دينار[١٢٤] .

ولم يكن الخليفة المقتدر ، اقل ممن سبقه في المصادرات ، بل زاد عنهم، لحاجته الملحة الى الاموال ، فصادر اموال بعض وزرائه ، كأبي الحسن علي ابن الفرات[١٢٥] وعلي بن عيسى[١٢٦] ، وغيرهما .

كذلك عمد بعض أمراء بني بوية ، الى المصادرات ، فصادر الامير عز الدولة البويهى ، في سنة ٣٥٠هـ اموال وزيره أبى الفضل العباسى بن الحسن ، وأبي الفرج محمد بن العباس[١٢٧] وقد أدت كثرة المصادرات ، الى اضطرار بعض الناس ، الى اخفاء اموالهم ، اما في دورهم ، كما فعل حامد بن العباس[١٢٨] او لدى اصدقائهم ، كما فعل أبو علي الخازن[١٢٩] أو دفنها في اماكن بعيدة في الصحراء ، كما فعل الامير بجكم[١٣٠] . وكان لعادة خزن الاموال ، أو دفنها آثار سيئة ، اذ فقدت ، بسبب ذلك ، مبالغ وفيرة ، من أموال الدولة .

كذلك ، دفع الميل الى الترف ، بعض رجالات الدولة ، الى الالتجاء الى الرشوة ، في توزيع الوظائف ، كما فعل الوزير يحيى بن خاقان ، الذى قيل انه ولى في يوم واحد ، تسعة عشر ناظرا للكوفة ، وأخذ من كل واحد ،

---

(١٢٤) الطبرى – تاريخ الامم والملوك ج٧ ص٣٤٧–٣٤٨ .
(١٢٥) ابن الاثير – الكامل في التاريخ ج٦ ص١٦١ .
(١٢٦) ابن الجوزى – المنتظم ج٦ ص٢٨١ .
ابن كثير – البداية والنهاية ج١١ ص ١٨٤ .
(١٢٧) ابن مسكويه – تجارب الامم ج٢ ص١٨٤–١٨٥ .
(١٢٨) التنوخى – نشوار المحاضرة ج١ ص١٥ .
(١٢٩) ابن مسكويه – تجارب الامم ج٢ ص١٨٦ .
(١٣٠) ابن مسكويه – تجارب الامم ج٢ ص١١ .

رشوة[١٣١] • كما لم يتحرج بعض الخلفاء ، والوزراء ، والامراء ، عن فرض ضرائب على الناس ، لحاجتهم الى المال ، نتيجة لحياة الترف والبذخ ، التى تعودوا عليها ، كما فعل المتوكل ، والواثق ، والمقتدر •

وعلى الرغم من ان حياة الترف والبذخ ، كان لها نتائج سيئة ، فان هذه الحياة ، انتجت مظاهر حضارية نذكر منها :ـ

١ ـ بناء القصور ، والجوامع الفخمة ، وان كلف الدولة اموالا كثيرة ، الا انه يعد مظهرا من مظاهر تقدم العمران ، والفنون ، فالقصور التى بناها الخلفاء ، وبخاصة الرشيد ، والمعتضد ، في بغداد ، والمتوكل في سامراء ، وقصور الوزراء ، تعد دليلا على مدى تقدم فن العمارة •

٢ ـ تقدم الصناعات المختلفة ، ورواجها ، نذكر من بينها ، صناعة الخز ، والوشى ، والديباج ، والسجاد ، المنسوج من الصوف أو الحرير[١٣٢] والاواني الزجاجية ، والخزفية •

٣ ـ الادب والغناء ، الذين كان للترف والنعيم ، الذين سادا بلاط الخلفاء ، وقصور الامراء ، أثر كبير ، في تقدمهما ، ذلك ان انظار الادباء ، والشعراء ، والمغنين ، كانت موجهة الى الخلفاء ، والامراء ، ومن ثم توافدوا الى قصورهم ، ليعرضوا انتاجهم ، طمعا في هباتهم ، وأعطياتهم ، الامر الذى أدى الى ازدهار النتاج الادبى ، والفنى •

---

(١٣١) ابن طباطبا ـ الفخرى ص٢٣٠ •

(١٣٢) الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى ص٩٧ •

وهكذا ظهرت في المجتمع العباسى ، طبقتان متميزتان ، الاولى تشمل الخلفاء ، والامراء ، وكبار رجال الدولة ، واتباعهم . والثانية طبقة العامة ، وهم الاكثرية ، وتشمل العلماء ، والتجار ، والصناع ، والمزارعين ، وغيرهم من سائر الناس ، وأغلبهم من الفقراء[١٣٣] .

(١٣٣) زيدان ـ التمدن ج٥ ص٣١ـ٤٩ .
تقسيم المجتمع العباسى الى طبقتين ورد في كتاب احمد أمين ـ ظهر الاسلام ج١ ص١١٤ـ١١٥ .

الباب الثالث

الغناء والموسيقى والمجالس الاجتماعية

أ ـ تطور الغناء والموسيقى .

ب ـ مجالس الطرب والغناء .

ج ـ مجالس القصاص .

د ـ مجالس الوعاظ .

الباب الثالث

الغناء والموسيقى والمجالس الاجتماعية

أ ـ تطور الغناء والموسيقى :

تطور الغناء والموسيقى ، في العصر العباسى ، تطورا كبيرا ، بفضل اهتمام الخلفاء ، والامراء ، وكبار رجال الدولة ، الذى عملوا على رفع شأنهما • ومن اشهر المغنين ، الذين اسهموا في ذلك التطور ، ابراهيم الموصلى[١] ، واسحق[٢] ، ومخارق[٣] ، وزنام[٤] الزامر ، وعريب[٥] • ويرجع السبب في ذلك التطور ، الى عدة عوامل :ـ

١ ـ تأثر العباسيين بالفرس ، والروم ، الذين دخلوا الاسلام بعد حركة الفتوح العربية ، وأصبحوا موالى في الدولة الاسلامية • وكان كثير منهم ، مثقفا ثقافة واسعة ، في الغناء ، والموسيقى ، فغنوا بالعيدان ، والطنابير ، والمعازف ، والمزامير • وسمع العرب تلحينهم ، فلحنوا عليهم الاشعار[٦] • ويقول المسعودى[٧] : لم تكن امة من الامم ، بعد فارس والروم ، أولع بالملاهى والطرب من العرب » •

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة ص٣٠٠ •
(٢) ابن النديم ـ الفهرست ص٢٠١ •
(٣) ابن طيفور ـ بغداد ص١٥١ •
(٤) الجاحظ ـ التاج ص٤١ •
(٥) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص٩٦ •
(٦) ابن خلدون ـ المقدمة ص٣٠٠ •
(٧) مروج الذهب ـ ج٤ ص ١٦٠ •

٢ ـ انتشار الجوارى ، في المجتمع العباسى بعد الفتوحات ، وكن اغلبهن من الروميات ، والفارسيات ، المثقفات • وقد اهتم النخاسون ، بتعليمهن الادب ، والشعر ، والغناء ، والموسيقى ، لبيعهن في الاسواق ، باثمان باهظة[٨] •

وقد قامت الجوارى ، بدور كبير في تطور الفنون ، وعلى رأسهن الجارية عريب ، التى اشتهرت بنظم الشعر ، كما نبغت في الغناء ، والضرب على الالات الموسيقية كالعود[٩] • وقال عنها صاحب الاغانى[١٠] : « كانت عريب مغنية محسنة ، وشاعرة صالحة ، وكانت وافرة الحظ ، والمذهب في الكلام ، ونهاية في الحسن والجمال ، والظرف ، وحسن الصوت ، وجودة الطرب ، واتقان الصنعة ، والمعرفة بالنغم ، والاوتار ، والرواية ، والشعر • واعترف بنبوغها الفنانون ايضا ، كأسحاق الموصلى[١١] • واشتهرت كذلك ، الجارية محبوبة ، جارية المتوكل ، بمعرفتها بالشعر ، والادب والغناء[١٢] • أما دنانير جارية البرامكة ، فقد اشتهرت بحسن غنائها ، وروايتها للشعر[١٣]•

ومن الجوارى اللاتى اشتهرن بالضرب على الآلات الموسيقية ، بجانب الغناء ، شاجية جارية عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ، التى اعترف بفنها ، الخليفة المعتضد[١٤] • فقد روى : انها عندما دخلت الى دار الخلافة ، سألها

---

(٨) الصولى ـ الاوراق ص١٠١ •
(٩) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص١٠١ •
(١٠) الاصفهانى ـ الاغانى ج١٩ ص١٣٤ •
(١١) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص٩٦ و ١٠١ •
(١٢) الابشيهى ـ المستطرف ص٢١٤ •
(١٣) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص٩٣ و٩٤ •
(١٤) التنوخى ـ نشوار المحاضرة ج١ ص٦٣ •
الشابشتي ـ الديارات ص٧٥ •

الخليفة المعتضد : هل رأيت شيئا لم ترى مثله عندنا فاستحسنتيه ؟ فقالت : لا والله، الا عودا من عود • فقال فيها ، المغني جحظة بعد ان سمع قولها : فما قولكم فيمن يدخل دار الخلافة ، فلا يمد عينه بشيء يستحسنه ، سوى عود(١٥) • واشتهرت عبيدة الطنبورية ، بالضرب على الآلات الموسيقية خاصة الطنبور ، وكانت الى جانب ذلك ، تميل الى دراسة الادب ، والشعر(١٦) •

وهناك عدد كبير من الجوارى ، المغنيات ، والاديبات ، والشاعرات ، دخلن قصور الخلفاء ، وكبار رجالات الدولة ، ولعبن دورا كبيرا ، في تطور الحياة الاجتماعية(١٧) ، اذ اعتبرن سببا مباشرا ، في ادخال حياة الترف ، والبذخ ، والطرب ، الى قصور الطبقة العليا في المجتمع، وذلك باحياء الحفلات، واقامة المجالس الغنائية ، واشترك الخلفاء ورجالات الدولة فيها •

٣ ـ كذلك كان للمغنين ، تأثير كبير ، في تطور الغناء ، والموسيقى ، وعلى رأس هذه الطبقة ابراهيم الموصلى ، الفارسى الاصل الذى اشتهر بالغناء ، وبلغ من اجادته له ، انه استطاع ان يحدد الخطأ ، من بين ثلاثين صوتا ، لثلاثين جارية ، يضربن ويغنين جميعا ، على طريقة واحدة ، وبنغم واحد على الاوتار(١٨)• وكان يقوم بتدريس الغناء ، ويجرى امتحانا للمتقدمين منهم ، بأمر الخليفة(١٩) • وهكذا فعل اسحق الموصلى ، وابن جامع(٢٠) ، وغيرهما

---

(١٥) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص٦٩ •
(١٦) الاصفهانى ـ الاغانى ج١٩ ص١٣٤ •
(١٧) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص٧١ـ١١٦ •
(١٨) الاصفهانى ـ الاغانى ج٥ ص٢٨٥ •
(١٩) الاصفهانى ـ الاغانى ج١ ص٢٨١ـ٢٨٢ •
(٢٠) الاصفهانى ـ الاغانى ج١ ص٢٦٨ •

من كبار المغنين . وقال الابشيهى[٢١] في ابراهيم الموصلى ، انه اشــدهم تصرفا في الغناء ، وكان الى جانب ذلك ، ينظم الشعر الجيد[٢٢] . وعرف ابنه اسحق ، بتفهمه للغناء والموسيقى ، فهما عميقا ، فتطورت على يديه ، وشهد له المأمون ، بهذا النبوغ في أحد مجالسه[٢٣] . ويقول الابشيهى[٢٤] ان اسحق فاق أهل عصره في الغناء .

ومن المغنين من جمع بين صناعة الغناء ، وتأليف الكتب ، كما فعل جحظة المغنى ، الذى ألف سبعة كتب ، في الغناء والمنادمة ، والطعام وأخبار الخلفاء[٢٥] . ويقول عنه ابن النديم[٢٦] انه كان أديبا ، وشاعرا ، ومغنيا ، وكذلك ابن بانة (عمرو بن سليمان بن راشد) ، جمع بين صناعة الغناء ، والتأليف[٢٧] . ومن المغنين ، من جمع بين اجادة تلاوة القرآن وصنعــة الغناء[٢٨] والفقه ايضا[٢٩] .

٤ ـ اهتمام الخلفاء بطبقة المغنين ، وتشجيعهم بالمنح ، والهدايا ، التى كانوا يجزلونها عليهم . فالرشيد ، كان اول من جعلهم مراتب ، وطبقات تبعا لكفاءتهم ، ومقدرتهم الفنية[٣٠] فالمرتبة الاولى ، تشمل كبار المغنين أمثال

---

(٢١) المستطرف ص٢١١ .
(٢٢) الاصفهانى ـ الاغانى ج٥ ص٢٠٣ .
(٢٣) الاصفهانى ـ الاغانى ج٥ ص٢٨٥ .
(٢٤) المستطرف ص٢١٣ .
(٢٥) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٦ ص٢٨٣ـ٢٨٦ .
الشابشتى ـ الديارات ص٨ .
(٢٦) الفهرست ـ ص٢١٣ـ٢١٤ .
(٢٧) ابن النديم ـ الفهرست ص٢١٣ـ٢١٤ .
(٢٨) الجاحظ ـ البيان والتبيين ج٣ ص٧٥ و ١٢٦ .
(٢٩) ابن طيفور ـ بغــداد ص١٧٩ .
(٣٠) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص١٨٦ .

ابراهيم الموصلي ، وابنه اسحق ، وابن جامع ، وزلزل ، والمرتبة الثانية ، تشمل الموسيقيين ، وقد يعتبر كبار الموسيقيين في المرتبة الاولى ، اذ أظهروا مقدرة فنية عالية[٣١] . وكانت الجوائز توزع على المغنين والموسيقيين ، حسب مراتبهم[٣٢] . ومما يجدر ذكره ، أن أغلب المغنين الذين حذقوا فن الغناء ، كانوا يضربون على الآلات الموسيقية .

وبلغ من تقدير بعض الخلفاء للمغنين ، أنهم كانوا يدعونهم لحضور مجالسهم ، كما فعل الخليفة الواثق ، الذى سمح للمغنى اسحق ، بحضور مجلسه .

ظل المغنون والمغنيات ، موضع رعاية وتشجيع كثير من خلفاء بني العباس ، ولم ينصرف عنهم سوى الخليفة المهتدى ، الذى حرم الغناء[٣٣] . وكذلك القاهر ، الذى قبض على المغنين ، وأمر ببيع المغنيات من الجوارى ، على انهن سواذج[٣٤] .

وقد بلغ ميل بعض الخلفاء العباسين وبعض الكتاب للغناء والموسيقى الى حد بالغ من الاهمية ، فمنهم من ألف الكتب في هذا الفن ، ومنهم من اهتم بعقد جلسات للمناقشة والمناظرة في طبيعة الغناء ، والموسيقى ، فالخليفة الواثق ، كان له المام بالالحان والاصوات[٣٥] . وقال عنه اسحق الموصلى ،

---

(٣١) الجاحظ ــ التاج ص٤١ .
(٣٢) الابشيهى ــ المستظرف ص٢١٣ .
الجاحظ ــ التاج ص٣٩ .
(٣٣) الكتبى ــ فوات الوفيات ج٢ ص٥٣٥ .
السيوطى ــ تاريخ الخلفاء ص١٤٥ .
(٣٤) ابن الجوزى ــ المنتظم ج٦ ص٢٥٠ .
(٣٥) الاصفهانى ــ الاغانى ج٩ ص٣٣٥ .

انه أعلم الناس بالغناء ، وكان يصنع الالحان العجيبة ، ويغنى بها شـعره وشعر غيره[٣٦] • وزاد على ذلك السيوطى[٣٧] ، فقـال ان له اصـــواتا بلغت حوالى المائة • وكان الخليفة المعتمد ، كما قال المسعودى[٣٨] مشـــغوفا بالطرب ، وبفن الغناء والموسيقى • وكان ابن خرداذية الكاتب ، يناقشه في طبيعة الغناء ، واصوله وانواع الضرب[٣٩] • وقد دخل عليه يوما جماعة من ندمائه ، فسأل ابن خرداذية ، عن نشأة الموسيقى والغناء ، فقال : انهـا على ثلاثة أوجه ، ضرب محرك ينعش النفس ، وضرب شـجن وحـزن ، وضرب يكون في صفاء النفس ولطاقة الحس • وكان لابن خرداذية ، معرفة جيدة بتاريخ الموسيقى وتطورها ، فشرح للمعتمد انواع الآلات الموسيقية ، والفرق بين الغناء والموسيقى عند الروم ، والفرس ، والهنود ، والعرب[٤٠] • وقد سر المعتمد بما سمعه منه ، فخلع عليه ، وعلى من حضره من ندمائه[٤١] • وبلغ من اهتمام المعتمد ، بهذا الفن ، وتطوره ، انه كان يعقد المجـــالس ، لمناقشة انواع الغناء ، والموسيقى المختلفة • كما أمر ، ان تجمع الاصوات ، للجارية المغنية عريب[٤٢] • واستمر الاهتمام بالغناء ، وعقد مجالس الطرب، سائدا في العراق ، طيلة القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة •

ب ـ مجالس الطرب والغناء :

كانت مجالس الطرب والغناء ، تعقد في قصور الخلفـاء ، ورجـالات

---

(٣٦) الابشيهى ـ المستطرف ص٢١٣ •
(٣٧) تاريخ الخلفاء ـ ص١٣٦ •
(٣٨) مروج الذهب ـ ج٤ ص١٥٧ •
(٣٩) المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص١٦١ •
(٤٠) المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص١٥٧ـ١٦٠ •
(٤١) محمد جمال سرور ـ الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٨٩ •
(٤٢) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص٩٦ •

الدولة ، وانتشرت في العصر العباسى ، في عهد الرشيد ، والواثق ، والمتوكل ، والمعتز ، والمقتدر . وكان يحضرها المغنون ، والمغنيات ، والندماء . وتقام هذه المجالس ، احيانا في مناسبات معينة ، منها :ــ الاحتفال بتولية خليفة جديد ، فيغنى المغنون في هذا الاحتفال ، أغان تتضمن تمجيد الخليفة وتهنئته ، كما فعل ابراهيم الموصلى ، اذ غنى للرشيد في اليوم الاول لخلافته فقال :ــ

اذا ظلم البلاد تجللتنا فهارون الامام لها ضياء(٤٣)

بهارون استقام العدل فينا وغاض الجور وانفسح الرجاء

كذلك كانت تقام مجالس الطرب والغناء ، في الاعياد ، والمواسم ، كالنوروز والمهرجان . فيذكر المسعودى(٤٤) ان الخليفة الراضى ، أمر في ليلة المهرجان ، باحضار الجلساء ، في مجلس بقصر التاج المطل على دجلة ، وأجاز في ذلك اليوم من الندماء ، والمغنين ، والملهين ، بالدنانير ، والدراهم ، والخلع ،وانواع الطيب .

وكانت تقام مجالس الغناء ، ايضا ، في حفلات الزواج ، والختان ، كما فعل الخليفة المتوكل ، عند الاحتفال بختان ابنه عبدالله المعتز ، اذ حضر المغنون والموسيقيون ، امثال عمرو بن بانة ، وابن المكى ، وسليمان الطبال ، وصالح الدقاق ، وغيرهم كثيرون واشترك في هذا الحفل ، عدد كبير من الراقصات (٤٥) . وكانت المجالس الغنائية ، تقام في اغلب الاحيان ، للتسلية

---

(٤٣) الاصفهانى ــ الاغانى ج٥ ص٢٠٣ .
(٤٤) مروج الذهب ــ ج٤ ص٢٦٢ .
(٤٥) الشابشتى ــ الديارات ص٩٩ .

والترفيه ، فالخليفة المنتصر ، اقام مجلسا للترفيه عن نفسه يوما ، ودعا اليه المغنى بنان بن الحارث العوان(٤٦) فغناه :

لقد طال عهدى بالامام محمد

وما كنت اخشى أن يطول به عهدى(٤٧)

وفي مثل هذه المجالس ، يجتمع المغنون ، والموسيقيون ، والندماء ، والشعراء ، في مجلس الخليفة عادة ، كما يجتمعون في مجالس رجالات الدولة ، فيغني المغنون ، والقيان ، من خلف الستارة ، ويطرب الجميع . وكان الواثق ، اكثر الخلفاء ميلا الى اقامة المجالس الغنائية ، فقد روى : انه اقام مجلسين في ليلة واحدة(٤٨) . وكذلك كان المتوكل(٤٩) والمعتضد(٥٠) والمقتدر ، الذى عرف بأهتمامه بمجالس الغناء ، وكان كثيرا ما يطلب من المغنين ، ما يعجبه من الغناء (٥١) . اما المأمون ، فكذلك كان يحضر مجالس الغناء ، وقد جلس يوما في عيد الشعانين ، وبين يديه عشرون وصيفة روميات ، تزين بالديباج الرومى ، وعلقن الصلبان الذهبية ، على صدورهن ، وفي ايديهن الخوص والزيتون ، وحضر ابراهيم الموصلى ، الحفل وغنى :

ظباء كالدنانير ملاح في المقاصير

جلاهن الشعانين علينا في الزنابير

---

(٤٦) المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص٧٨ .
(٤٧) المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص٧٨ .
(٤٨) الاصفهانى ـ الاغانى ج١٩ ص١١٨ .
(٤٩) الاصفهانى ـ الاغانى ج١٩ ص١١٩ـ١٢٠ .
(٥٠) ابن الساعى ـ نساء الخلفاء ص٦٥ .
(٥١) الاصفهانى ـ الاغانى ج٥ ص٢٢٥ .

فدفع المأمون ، ثلاثة آلاف دينار للجوارى المغنيات ، وألف دينار للمغنى[٥٢] • وكان الخلفاء ، لا يبخلون في دفع مبالغ كبيرة ، في شراء الجوارى المغنيات وقد يصل ما يدفع في بعضها ، الى اربعة آلاف دينار[٥٣] كما فعل كل من الرشيد ، والمتوكل ، والمعتضد ، وغيرهم[٥٤] •

كذلك عرف عن بعض الخلفاء ، اسرافهم وبذخهم ، في مجالس الغناء ، فالواثق ، دفع ثلاثين الف درهم للمغنى اسحق[٥٥] • كما اجزلوا العطاء للشعراء في مجالسهم الغنائية ، وخير مثل لذلك ، ما فعله الرشيد ، اذ حضر مجلسه اسحق المغنى يوما ، فأنشده قصيدة مطلعها :

وآخره بالبخل قلت لها اقصرى

فليس الى ما تأمرين سبيل

فأمر الرشيد ، بدفع عشرين الف درهم له[٥٦] • وكان اسحق ، يجمع ما بين الغناء والشعر ، وكذلك كان ابراهيم الموصلى ، والمغنية محبوبة ، والجارية عريب ، وغيرهم •

ومما يجدر ذكره ، ان بعض الخلفاء ، عرفوا بتفهمهم للشعر والغناء ، فالخليفة الواثق كان ينظم الشعر ، ويطلب من المغنى في مجالسه الغنائية ، ان

---

(٥٢) الاصفهانى – الاغانى ج١٩ ص١٣٨ •
(٥٣) الصولى – الاوراق ص١٠١ •
(٥٤) انظر ابن الساعى – نساء الخلفاء ص٥٥ •
(٥٥) الاصفهانى – الاغانى ج٩ ص٢٨١ – ٢٨٢ •
(٥٦) ابن عبد ربه – العقد الفريد ج١ ص٢٩٩ •

يغني شعره[٥٧] وهكذا كان يفعل الخليفة المعتمد ، الذى يطلب من المغنين عمل اللحن لشعره .

وكان كبار رجال الدولة ، يقيمون ايضا مجالس الغناء ، فيروى أن أبا الحسن علي بن الفرات وزير الخليفة المقتدر ، كثيرا ما كان يقيم حفلات غنائية ، يدعو اليها جماعة من المختصين به ، وكان يحضرها من المغنين والمغنيات ، بين يدى الستارة ومن ورائها ، ما لا يحصى كثرة[٥٨] . وكان الوزير قاسم بن عبيدالله وزير المعتضد ، يقيم المجالس الغنائية ، ويحضرها الادباء ، والشعراء ، وكثيرا ما تدور في هذه المجالس ، مناقشات حول موضوع الشعر وقائله[٥٩] . كذلك اتخذ بعض الامراء والاثرياء ، في مساكنهم أماكن واسعة ، ليقيموا بها حفلات الغناء . فالامير بجكم ، أقام في ليلة المهرجان مجلسا غنائيا ، فاق به مجلس الخليفة الراضى[٦٠] .

وكانت تقام حفلات في بيوت الجوارى ، اللاتى يحترفن الغناء ، ويدعى اليها ، كثير من ذوى المكانة في الدولة لسماع الغناء ، وعرفت الجارية المغنية عريب بذلك[٦١] . كما كانت نساء الطبقة الراقية ، تدعو الجوارى المغنيات الى بيوتهن ، لاحياء حفلات غنائية ، وتوزع عليهن الجوائز والهدايا[٦٢] .

وفضلا عما تقدم ، فقد كانت هناك حفلات موسيقية مختلطة ، تشترك

---

(٥٧) الابشيهى ـ المستطرف ص٢١٣ .
(٥٨) هلال بن الصابى ـ تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص١٣٠ .
(٥٩) التنوخى ـ نشوار المحاضرة ج١ ص٥٠ـ٥١ .
(٦٠) المسعودى ـ مروج الذهب ج٢ ص٥٣٠ الطبعة الاوربية .
(٦١) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص١١١ـ١١٢ .
(٦٢) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص٦٦ـ٦٧ .

فيها الطنبورية المعروفة عبيدة ، مع الطنبوريين[٦٣] ، وحفلات موسيقية ، مقصورة على النساء تسمى ، بنوبات الخاتون[٦٤] •

على ان الامر الذى يسترعى الانتباه ، ان الغناء عنيت به ايضا طبقة الكتاب ، اذ الفت الكتب الكثيرة ، لشرح طبيعة الغناء ، وعدد الاصوات ، وحياة المغنين والمغنيات ، ومن بين من تناول هذا الموضوع ، الاصفهانى ، وكشاجم ، وابن خرداذية ، وغيرهم من الكتاب •

ولم يكن هناك فرق كبير ، بين مجالس الغناء ، ومجلس الشراب لان العادة جرت ، ان يحضر الندماء مجالس الغناء ، التى كان يقدم فيها احيانا ، الشراب ، ومثل هذه المجالس تكون صبغتها غنائية ، ولكن هناك مجالس ، يقتصر فيها على الشراب ، وكانت تنفق على هذه المجالس اموال كثيرة ، وقد يحضرها مختلف طبقات المجتمع[٦٥] •

وكانت مجالس الخلفاء ، يقصدها كثير من الندماء ، فالخليفة المعتمد ، خصص بعض مجالسه ، للمناقشة حول صفات النديم ، وما يجب ان يتحلى به من اخلاق وفضائل[٦٦] كذلك كانت تدور في مجالس الخليفة المستكفى، المناقشات حول الندماء ، والشراب ، وأنواعه[٦٧] •

وكان يراعى في مجالس الغناء والشراب ، ان يجلس الندماء ، والمغنون ، والموسيقيون ، حسب مراتبهم • ويذكر الجاحظ : ان الفرس هم

---

(٦٣) النويرى ــ نهاية الارب ج٥ ص١١٦ •
(٦٤) سيد امر على ــ مختصر تاريخ العرب ص٣٨٦ •
(٦٥) الثعالبى ــ يتيمة الدهر ج٢ ص٣٣٧ •
(٦٦) المسعودى ــ مروج الذهب ج٤ ص١٦٣ •
(٦٧) المسعودى ــ مروج الذهب ج٤ ص٢٨٠ •

الذين رتبوا الندماء ، والملهين ، والمغنين ، طبقات ، واقتبس العباسيون هـذا الترتيب(٦٨) .

وكان لطبقة المغنين ، ترتيب خاص في الجلوس ، اذ قسموا الى ثلاث مراتب ، في عهد الرشيد تبعا لمقدرتهم الغنائية : الاولى تشمل كبار المغنين ، كابراهيم الموصلى ، والثانية تضم ، من هم أقل درجة من الطبقة السابقة ، ومن بينهم المغني سليم بن سلام ، وعمرو الغزال وغيرهما . والمرتبة الثالثة ، اصحاب المعاذف ، والطنابير(٦٩) اى الموسيقيين .

وكانت المغنيات اذا حضرن هـذه المجـالس ، يجلسن خلف الستارة ، ولا يظهرن لاحد ، ويقف رجل يطلق عليه صاحب الستارة ، يشرف عـلى تقديم المغنين ، والمغنيات ، ويكون الواسطة بين طلبات الخليفة ، وطبقـة المغنين(٧٠) . وكانت بعض الستائر ، في قصور الخلفاء ورجالات الدولة ، مطرزة بالذهب(٧١) .

أما مجالس الطرب والغناء عند العامة فعلى الرغم من انه لم يرد في كتب التاريخ والادب ، معلومات وفيرة عن مثل هذه المجالس ، فأنه مما لاشك فيه ، ان بعض العامة من المسلمين ، كانوا يحضرون حفلات تتناسب مع مستوى معيشتهم(٧٢) ، كما شاركوا المسيحيين ، في حفلات الغنـاء التى اقيمت في أديرتهم ، في بعض مواسمهم الدينية(٧٣) . كما كانوا يؤمون الحفلات ،

---

(٦٨) الجاحظ ـ التاج ص٣٣ .
(٦٩) الجاحظ ـ التاج ص٣٤ .
(٧٠) الشابشتى ـ الديارات ص٧١ .
(٧١) البيهقى ـ المحاسن والمساوىء ص٤٠١ .
(٧٢) التنوخى ـ نشوار المحاضرة ج١ ص١٤ .
(٧٣) الشابشتى ـ الديارات ص٣٠ـ٣١ .

التى تقام في اماكن النـــزهة[٧٤] • والتى يشترك في احيائهـــا المغنـــون والمغنيات[٧٥] •

وعلى الرغم من هجمات الحنابلة المتكررة ، وغيرهم ، على دور المغنيات ، والمغنين ، خلال القرنين الثالث والرابع ، فالغناء لم يتأثر بذلك ، بل استمرت المجالس في قصور الخلفاء ، وفي بيوت العامة •

أما عن الرقص ، فكان كالغناء من حيث أصالته في المجتمع البغدادى ، ففى عهد الامين رقصت الجوارى ، وكانت تقام الحفلات الراقصـــة ، في مناسبات الاعياد ، والعرس ، والولائم • وكان بعض الخلفاء ، يبدون اهتماما كبيرا بهذا الفن ، ومنهم الخليفة المعتمد ، الذى عقد جلسات للمناقشة ، حول صيغة الرقص وانواعه[٧٦] •

ومما يجدر ذكره ، ان هذا النوع من الفن ، لم ينتشر في قصـــور الخلفاء ، كانتشار الغناء والموسيقى ، الا في فترات معينة ، حيث تقام حفلات يشترك فيها راقصات ، يتزين بالثياب المزركشة ، ويحمـلن الزهـــور ، والرياحين ، كما حدث في حفل ختان عبدالله المعتز ابن الخليفة المتوكل[٧٧] الذى مر ذكره •*

ج ـ مجالس القصاص :

كانت مجالس القصاص على نوعين ، عامة وخاصة • فالاولى تعقد عادة

---

(٧٤) ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص٢٤٩ •
(٧٥) ابن المعمار ـ الفتوة ص١٧٦ •
(٧٦) المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص١٦١ •
(٧٧) الشابشتى ـ الديارات ص٩٩ •
* ملاحظة ـ هناك بحثا مفصلا للمؤلف نفسه نشر في المجلة التاريخيـة المصرية المجلد الرابع عشر سنة ١٩٦٩ •

في المساجد ، حيث يلتف حول القاص الذى يقوم بارشادهم ، وتذكيرهم بالله، وحثهم على اتباع الطريق القويم ، بذكر آيات الله واخبار السلف الصالحين[٧٨] . أما المجالس الخاصة ، فقد استحدثها فيما يقال : معاوية بن أبى سفيان ، وكان يقف فيها القاص ، بعد صلاة الصبح ويذكر الله ، ويصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم يبدأ بالدعاء للخليفة ، ولاهل بيته ، وحاشيته ، وجنوده[٧٩] .

وكان للقصاص في الغالب ، صبغة دينية حتى القرن الثانى الهجرى[٨٠] ، اذ كانت مهمتهم تتمشى مع مبادىء الاسلام[٨١] .

هذا ولم تكن رواية القصة ، حديثه في الاسلام ، بل عرفت في المجتمع الجاهلى ، وكانت مادة قصصهم ، ايام العرب ، واخبار الامم المجاورة[٨٢] .

واستمرت طبقة القصاص ، ومجالسهم في صدر الاسلام[٨٣] ، تهدف الى تفسير الشريعة الاسلامية ، للمستمعين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى[٨٤] .

---

(٧٨) السبكى – معيد النعم ص ١١٣–١١٧ .
ابن الخطيب البغدادى – تاريخ بغداد ج٢ ص١٠١ .
(٧٩) المقريزى – الخطط ج٢ ص٢٥٣ .
(٨٠) الجاحظ – البيان والتبين ج١ ص٣٨٧–٣٦٩ .
(٨١) ابن الجوزى – تلبيس ابليس ص١٢٠ .
(٨٢) حسين نصار – نشأة التدوين التاريخى عند العرب ٦ ، ٧ .
روزنثال – علم التاريخ عند المسلمين : ٣١ وما بعدها .
(٨٣) آدم متز – الحضارة الاسلامية ج٢ ص١٤١ .
(٨٤) الجاحظ – البيان والتبين ج١ ص٣٦٧–٣٦٨ .

وكان من بين القصاص ، بعض القضاة[٨٥] ، وخطباء على جانب كبير من الثقافة[٨٦] ، وأدباء من اصحاب البلاغة والفصاحة[٨٧] .

وقد جاءت بعد هذه الطبقة ، طبقة اخرى أقل معـــرفة وثقافة مـــن سابقتها ، حتى في الامور الدينية[٨٨] . واصبحت غايتهم الكسب المادى ، واللعب بعقول الناس[٨٩] . وبخاصة في القرن الثالث الهجرى ، حيث بدأت الروح الاخلاقية العالية ، تختفى من المجتمع[٩٠] . وظل الحال على ذلك حتى القرن الرابع ، حيث انخفض المستوى العلمى لطبقـة القصـــاص ، وصارت تقص على الناس ، القصص والاساطير الخرافية ، فالتف حولهـم العامة[٩١] فزاد عدد المستمعين اليهم رجالا ونساء ، واصبحت مجالسـهم عامرة ، سواء في المساجد[٩٢] ، او الطرقات[٩٣] ،أو الاسواق[٩٤] بل في المقابر[٩٥] ايضا .

---

(٨٥) ابن الجوزى ـ صفة الصفوة ج٢ ص١١٦ .
(٨٦) الجاحظ ـ البيان والتبين ج١ ص٣٦٧ .
(٨٧) الجاحظ ـ البيان والتبين ج١ ص٣٦٧ .
(٨٨) الثعالبى ـ يتيمة الدهر ج٣ ص٥٢ .
(٨٩) المكى (ابو طالب محمد بن على) ـ قوت القلوب ج١ ص١٤٩ .
(٩٠) الجاحظ ـ البيان والتبين ج١ ص٣٦٧ .
(٩١) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج٣ ص١٢٣ .
وقد ترجم هذا الفصل من الالمانية الى الانكليزية خدا بخش الهندى وألحقه بكتاب آدم متز كتعليق على الفصـل التاسـع عشر المتعلق بالقصاص فلما ترجم ابو ريدة كتاب آدم متز الى العربية ترجم معه هذا الفصل ايضا ج٢ ص١٤٢ .
(٩٢) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٨ ص١٠ .
(٩٣) السبكى ـ معيد النعم ومبيد النقم ص١١٣ .
(٩٤) الثعالبى ـ يتيمة الدهر ج٣ ص٣٦٦ .
(٩٥) ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص١٢٢ .

وكان القاص يرفع صوته بالدعاء ، ويمد يده لاخذ المال من العامة[٩٦]، ولذلك ضعفت مكانته بين الناس .

وقد عمد بعض القصاص ، الى سرد البدع ورواية الاخبار الكاذبة ، التى ليست لها علاقة بالدين[٩٧] . ومنهم من كان ينشد شعرا غزليا ، أو ينوح على الموتى ، ويصف ما يجرى لهم من البلاء[٩٨] . او يشرح بعض العبارات دون ان يكون ملما باللغة العربية وقواعدها[٩٩] ، او يثير الخلافات المذهبية في نفوس العامة .

وقد لعب بعض الوراقين ، دورا كبيرا في تصنيف القصص ، وتهيئتها للقصاص ، فصيغت القصص الخيالية ، وقرئت على العامة . وأستمرت هذه الطبقة ، في انحرافها عن الهدف الاساسى ، لرواية القصص الدينية ، خاصة في القرن الرابع الهجرى[١٠٠] . فصارت تروى قصصا ، تتضمن حكايات تحمل الناس على ارتكاب المعاصى ، أو تدفعهم الى القتال والنزاع ، ففى سنة ٢٨٤هـ أثار القصاص ، الفتن بين اتباع المذاهب الدينية ، مما حمل الخليفة المعتضد العباسى ، على منع القصاص من الجلوس في المساجد ، والطرقات ، لرواية الحكايات ، واثارة النزعة الطائفية بين العامة[١٠١] .

وفي سنة ٣٦٧هـ منع عضد الدولة ، القصاصين من الظهور في المساجد ، وغيرها من الاماكن ، واعتبرهم آفة المجتمع ، لان أحاديثهم كانت سببا في

(٩٦) ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص١٢٢ .
(٩٧) المكى (ابو طالب) ـ قوت القلوب ج١ ص١٤٩ .
(٩٨) الغزالى ـ احياء العلوم ج٢ ص٣٣١ .
(٩٩) ابن الجوزى ـ اخبار الظراف ص٩٠ .
(١٠٠) القفطى ـ تاريخ الحكماء ص٣٣١ .
(١٠١) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٨ ص١٨٢ .

اثارة الناس(١٠٢) . وكذلك في سنة ٤٠٨هـ امر الخليفة القادر بالله العباسي، بضرب القصاص ، وعمل على مناهضتهم،بسبب اثارتهم الفتن الداخلية(١٠٣) كما اتخذت اجراءات شديدة ، للقضاء على هذه الفئة ، التى استطاعت ان تسيطر على عقول العامة .

وقد وقف بعض الكتاب والعلماء من هؤلاء القصاص ، موقفا حازما . ومن بين الكتاب الذين انتقدوا مسلك هؤلاء القصاص ، المسعودى(١٠٤) الذى وصفهم بالكذابين ، والمقدسى(١٠٥) وقال عنهم « انهم يروون الاعاجيب ، والترهات ، والاباطيل» . كما طعن في أقوالهم البيروني(١٠٦) والدار قطني(١٠٧) وأبي طالب محمد بن علي المكى ، وابن الجوزى ، وغيرهم كثيرون . هذا وكان فقهاء المذاهب ، كالامام مالك بن انس ، والامام أحمد بن حنبل ، من أشد المناهضين لهم .

أخذت مجالس الذكر ، تنافس مجالس القصاص ، في القرن الرابع الهجرى . ويمثل المذكرون أهل التقى والصلاح ، وهؤلاء انصرفوا عن مجالس القصاص ، بعد أن شعروا بخطورتها تدريجيا ، وصار الناس يلتقون حول مجالسهم .

د ــ مجالس الوعاظ :

كان الواعظ يقوم مقام المدرس ، ويحضر حلقته جميع أفراد المجتمع ،

---

(١٠٢) ابن الجوزى ــ المنتظم ج٧ ص٨٨ .
(١٠٣) شمس الدين الذهبى ــ العبر في تاريخ من غبر ص٦٥ــ٦٦ .
(١٠٤) مروج الذهب ج٥ ص٨٦ (الطبعة الاوربية) .
(١٠٥) البدء والتاريخ ــ ج١ ص١٨٩٩ .
(١٠٦) الآثار الباقية ــ ص٣٣٠ .
(١٠٧) السيوطى ــ تحذير الخواص من الاعيب القصاص ص٥٠ .

دون تمييز فيشرح لهم المسائل الشرعية ، ويجيب على الاسئلة التى توجه اليه(١٠٨) • وقد حافظت مجالس الوعظ العامة ، على سمعتها الطيبة طيلة القرنين الاول والثانى بعد الهجرة ، لان عامة الناس كانت لا تزال ، متمسكة بأهداف الدين • كما ان الوعاظ كانوا مثقفين ، ولهم المام كبير بأمور الشرع الاسلامى ، يؤهلهم لارشاد الناس الى طريق الدين السليم(١٠٩) •

هناك مجالس أخرى تعرف بالمجالس الخاصة ، يحضرها الواعظ مع نفر قليل من الناس(١١٠) ، وقد لعبت دورا كبيرا ، في توجيههم نحو الخير والرشاد • على آن مجالس الوعاظ ، لم تحتفظ بمكانتها في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، اذ تعرض لها كما يقول ابن الجوزى(١١١) • الجهال من العوام والنساء ، فانصرفوا عن الاشتغال بالعلم ، وأهتموا بالكسب المادى ، وظهرت البدع على اختلاف انواعها ، وانتشرت الخرافات على ألسنة الوعاظ • ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل ان بعض الوعاظ ، لم يكونوا على درجة كبيرة من الثقافة(١١٢) • كما أن فريقا آخر منهم ، لبس الثياب الفاخرة ، وخلع ثياب الزهد ، وخير مثال لذلك الواعظ محمد بن أحمد الشيرازى(١١٣) وكذلك ابن سمعون الواعظ الذى كان مترفا في حياته(١١٤) • ومما يجدر ذكره ، أن بعض الوعاظ في ذلك العهد ، نظروا

---

(١٠٨) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية ج٢ ص١١١ •

(١٠٩) البيهقى ـ المحاسن والمساوىء ص٣٣٨ـ٣٤٤ •

(١١٠) الجاحظ ـ المحاسن والاضداد ص١١٣ •
المكى (ابى طالب) ـ قوت القلوب ج٢ ص١١ •

(١١١) تلبيس ابليس ص١٢٠ـ١٢١ •

(١١٢) الغزالى ـ احياء العلوم ج٢ ص٣٣١ •
ابن الجوزى ـ الحمقى والمغفلين ص١٢٦ •

(١١٣) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٨ ص١٣٤ •

(١١٤) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص١٩٨ •

الى الوعظ على أنه مهنة للكسب ، أكثر منها مهنة للارشاد ، ومن ثم انحطت القيمة الثقافية للوعظ(١١٥) • واتخذ الوعاظ مجالسهم ، في اماكن متعددة غير المساجد ، منها المقابر(١١٦) وبعض المحال العامة(١١٧) • وفضلا عما تقدم ، فأن الوعاظ أصبحوا خطرا يهدد سلامة المجتمع ، بأثارتهم الفتن ، أو اذاعتها ، وبخاصة بين أهل السنة والشيعة ، أو بين المذاهب السنية ، كما حدث بين الحنابلة والشافعية(١١٨) • وكثيرا ما أدت هذه الفتن ، الى مقتل كثير من انصار الفريقين •

وكان بعض حكام الولايات ، يستغل موقف الوعاظ ، فيقف الى جانب أحد المذاهب ضد الآخر ، ويطلب من الواعظ ان يعينه على تحقيق غرضه ، بالوعظ بين الناس في مجالسهم ، وبذلك تصبح المساجد ، أو الاماكن الاخرى ، التى يعقد فيها الوعاظ مجالسهم ، مراكز للدعاية لفريق دون الآخر ، وهذا معناه ان مجالس الوعظ ، أصبحت سياسية ، أكثر منها دينية وأجتماعية ، كما حدث في عهد الخليفة القادر بالله ، الذى استعان بالوعاظ ، حين قامت الفتنة بين أهل السنة والشيعة ، اذ طلب منهم أن يقوموا بدورهم ، الى جانب الحكومة سنة ٤٠٨هـ(١١٩) • واتبع الخليفة الراضى ، نفس هذه السياسة من قبل سنة ٣٢٣هـ ، حيث طلب من الوعاظ ، أن يقوموا بدورهم في مجالسهم ، بنشر قراراته ضد الحنابلة(١٢٠) وكذلك فعل بنو بويه ، فقد

---

(١١٥) ابن الجوزى ــ الحمقى والمغفلين ص١٢٦ •

(١١٦) ابن الجوزى ــ المنتظم ج٩ ص٨٩ •

(١١٧) ابن الجوزى ــ المنتظم ج١٠ ص٣٠ •

(١١٨) أبو الفداء ــ مختصر تاريخ اخبار البشر ج٢ ص٧٤ •
السيوطى ــ تاريخ الخلفاء ص١٥٤ •

(١١٩) شمس الدين الذهبى ــ العبر في خبر من غبر ج٣ ص٩٨ •

(١٢٠) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ج٦ ص٢٤٨ •

أمر معز الدولة الوعاظ ، أن يهيئوا الناس للاحتفال بيوم عاشوراء في سنة **٣٥٢**هـ[١٢١] • وكانت هذه التعليمات تذاع على الناس ، بطريق الواعظ أثناء وعظه في المجلس •

وهكذا اعتبرت مجالس الوعظ ، خير دعاية للسلطة الحاكمة ، كما ان بعض الوعاظ كان يساير المسلمين في اتجاهاتهم وسياستهم[١٢٢] •

وكان من أثر انحراف الوعاظ في ذلك العهد عن مهامهم ، وعقد مجالسهم خارج المساجد ، أن تزايد عدد المستمعين اليهم من العامة[١٢٣] • وقد حث بعض علماء الدين كالغزالى[١٢٤] على منع النساء من حضور مجالس الوعاظ ، خشية أن يؤدى ذلك الى الفتنة • كما أن هؤلاء العلماء حثوا الوعاظ على الظهور أمام الناس ، بمظهر يتجلى فيه الورع والوقار ، وأن يتزيوا بزى الصالحين[١٢٥] •

ولم تكن الدولة غافلة عن تصرفات هؤلاء الوعاظ فكانت تناقش من يسيء التصرف منهم ، وتمنعه من الوعظ بل تطرده خارج العراق اذا انحرف عن مهمته[١٢٦] • وقد حدث ذلك ، حين اشتدت الفتنة المذهبية ، في عهد الخليفة القادر بالله سنة **٣٨١**هـ ، اذ صدرت مراسيم تحدد مجال القول عند الوعظ ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر •

---

(١٢١) الثعالبى – ثمار القلوب ص١١٥ ٠
(١٢٢) ابن الجوزى – المنتظم ج٧ ص١١٩–٢٠٠ ٠
(١٢٣) ابن الجوزى – تلبيس ابليس ص١٢٠ ٠
(١٢٤) احياء العلوم ج٢ ص٣٣١ ٠
(١٢٥) الغزالى – احياء العلوم ج٢ ص٣٣١ ٠
(١٧٦) الغزالى – احياء العلوم ج٢ ص٣٢٩ ٠

وقد اذيعت هذه المراسيم ، التى عرفت بالاعتقاد القادرى ، على جمع من الفقهاء ، والوعاظ ، والزهاد ، والقضاة ، والاشراف ، في دار الخلافة[١٢٧] . كما أذيع مرسوم آخر ، عرف بالاعتقاد القائمى سنة ٤٢٢هـ نسبة الى الخليفة القائم بأمر الله العباسى لنفس الغرض[١٢٨] .

(١٢٧) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٨ ص٤١ .
(١٢٨) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٨ ص٢٤٩ .

البابُ الرابع

الحياة العامة في مدن العراق

١ ــ العادات والاخلاق

٢ ــ الاعياد والمواسم والمواكب

٣ ــ المرأة وأثرها في المجتمع

الباب الرابع

الحياة العامة في مدن العراق

١ ـ العادات والاخلاق

هناك عادات مألوفة ، وكثيرة لدى السواد الاعظم من العراقيين في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، تعلق الناس بها ، لكونها تمس حياتهم الاجتماعية ، في أفراحهم وأتراحهم ، وفي أعيادهم ومواسمهم الدينية • وقد يعتقد البعض ان هذه العادات ، التى يمكن ان تطلق على بعضها بالاساطير ، والخرافات المسيطرة على عقول الطبقة العامة ، بصفة خاصة استجدت من واقع البيئة ، ولكن في الحقيقة أغلبها يرجع الى عصر ما قبل الاسلام • ومنها عادات اقتبست من الفرس ، بعد الفتوحات الاسلامية • ولما جاء القرن الثالث الهجرى ، تمكنت هذه العادات من نفوس العامة ، واصبحت ملازمة لحياتهم ، ونلحظ ذلك في عيدى النوروز والمهرجان[١] • وهناك عادات استحدثت في العصور الاسلامية ، واتخذت صبغة دينية ، وسيطرت على عقول الناس حتى يومنا هذا ، ونعنى بها الاحتفالات ، التى تقام لاحياء ذكرى بعض الشخصيات الاسلامية •

ومن العادات التى سادت في المجتمع وتمس الاسرة • الا تخرج المرأة كاشفة الوجه ، أو حاسرة الرأس ، في الطرقات أو في المساجد فعليها

---

(١) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤١٩ـ٤٢٠ •

ان تغطي وجهها[٢] ، وتلبس الخمار عند الخروج من بيتها[٣] • وان تتخذ التحفظ ، والاحترام ، والحشمة ، والابتعاد عن الرجال الغرباء ، عند حضورها مجالس الوعظ [٤] او الذهاب الى الحمام[٥] أو الاسواق [٦] •

وقد اهتمت السلطات ، بتنظيم العلاقة بين الجنسين[٧] في الطـرقات فالماوردى[٨] مثلا لا يحبذ كلام المرأة مع الرجل الغريب في الطريق • وقد جرت العادة الا تتحدث المرأة مع أى رجل غريب ، حتى ولو كان ذلك في مجالس الوعظ • وكان يسمح لها بحضور هذه المجالس ، على أن تجلس خلف الرجال ، ولا تختلط بهم[٩] • ولا تصافح الواعظ[١٠] ، واذا انفض المجلس ، تخرج من باب غير الباب المخصص للرجال • وان يكون تصرفها في الاسواق ، يدل على الادب والاحترام[١١] •

ومن العادات المرذولة في المجتمع العراقى ، وقوف الرجال في طريق المرأة في الطرقات والاسواق[١٢] • وقد دعا المصلحون من ذوى الاخلاق

---

(٢) الغزالى ــ احياء العلوم ج٢ ص٢٣٠ •
(٣) الغزالى ــ احياء العلوم ج٣ ص٣٠٩ •
(٤) الخطيب البغدادى ــ تاريخ بغداد ج١٢ ص٧٦ •
(٥) الماوردى ــ الاحكام السلطانية ص٢٢٢ •
(٦) الماوردى ــ الاحكام السلطانية ص١٢٣ •
(٧) الشيزرى ــ الحسبة ص١١٠ •
(٨) الاحكام السلطانية ــ ص٢١٦ •
(٩) الشيزرى ــ الحسبة ص١١٠ •
(١٠) ابن الجوزى ــ تلبيس ص٣٨٧ •
(١١) الماوردى ــ الاحكام السلطانية ص٢٢٣ •
(١٢) الشيزرى ــ الحسبة ص١١١ •
ابن الجوزى ــ اخبار الظراف ص٩٨ •

الراقية ، والمتدينون ، الى محاربة هذه العادات ، على اعتبار ان الشريعة الاسلامية ، نهت عن تعرض الرجال للنساء[١٣] .

وعلى الرغم من انتشار الجوارى ، وبيعهن على أيدى النخاسين في الاسواق ، وبسهولة التسرى والزواج بهن[١٤] ، فان نظرة المجتمع كانت ولازالت تفرق ما بين المرأة الحرة والجارية . ومن الاقوال الشائعة في ذلك الوقت «هذا ابن أمة» أو « لا تتزوج ممن تناولتها أيدى النخاسين»[١٥] .

كان للزواج عادات وتقاليد ، سيطرت على المجتمع ، ومع أنها قد تسبب مشاكل ، ومصاعب للاسرة ، لكن ليس من السهل تغييرها ، أو ازالتها من عقول الناس . فمن هذه التقاليد التى اصبحت عادات بمضى الزمن «الخطبة» التى اتبعت فيها طريقتان ، أحداهما تتم بالتفاهم بين الرجل والمرأة مباشرة [١٦] ، وهذا نادر الحدوث ، حتى خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، حيث انتشرت الجوارى وأنحطت منزلة المرأة .

أما الطريقة الثانية وهى المتبعة لدى جميع طبقات المجتمع ، فهى جعل الخطبة عن طريق الوساطة ، وذلك بأن يعهد الى سيدة من الاقارب ، أو من صديقات الاسرة ، بالذهاب الى أهل الفتاة ، لطلب يدها[١٧] . وكان من مستلزمات الزواج ، الصداق ، وقد جرت العادة بأن يكون نقدا ، وكان

---

(١٣) ابن الجوزى ـ الاذكياء ص٥٢ .
(١٤) الشيزرى ـ الحسبة ص١٠٩ .
ابن الجوزى ـ الاذكياء ص٦٩ .
(١٥) الجاحظ ـ المحاسن والاضداد ص٢٥٤ .
(١٦) ابن الجوزى ـ ذم الهوى ص٣٦٦ـ٣٦٨ .
(١٧) ابن الجوزى ـ الاذكياء ص٤٢٨ .

مقداره يختلف حسب طبقات المجتمع ، فالاثرياء يقدمون صداقا كبيرا ، يتناسب مع ما يملكون من ثروة[١٨] • وكانت طبقة العامة ، تحرص ايضا على تقديم الصداق ، بقدر ما تستطيع[١٩] • وهذا دليل على أن هذه العادة ، كانت مسيطرة على عوائل المجتمع •

ومن العادات التي كانت تراعى في الزفاف ، ان تزف المرأة الى بيت الرجل[٢٠] ، حيث يقام احتفال ، ووليمة ، ينفق عليها الزوج حسب امكاناته[٢١] • وقد يشترك مع المدعويين ، اشخاص يحضرون بدون دعوة ، يعرفون بالطفيليين ، والظاهر انها عادة متبعة في المجتمع ، ويسمى الواحد منهم بطفيلي العروس[٢٢] ولا يجسر أحد من المدعويين ، ان يطلب منه الخروج ، ويحكى أن طفيليا ، أوصى ابنه ، اذا دخلت عرسا ، فلا تلتفت تلفت المريب ، وتخير المجالس ، فان كان العرس كثير الزحام ، فلا تنظر في عيون أهل المرأة ، ولا في عيون أهل الرجل ، ليظن هؤلاء انك من هؤلاء • فان كان البواب غليظا صلفا ، فابدأ به ، ومره وأنهه ، من غير أن تعنف به وعليك بكلام بين النصيحة والادلال[٢٣] •

وجرت العادة عند الامراء ، والطبقات الثرية ، ان ينثر على الحضور النقود ، الذهبية والفضية ، في حفلات الزفاف ، وقد عرف ذلك بالنثار • وتجلت هذه المظاهر ، في حفلي زواج زبيدة بهارون الرشيد[٢٤] وبوران

---

(١٨) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص١٤٩ •
(١٩) ابن الجوزي ـ الاذكياء ص٧٧ •
(٢٠) الثعالبي ـ ثمار القلوب ص٣١٩ ـ ٣٢١ •
(٢١) ابن الجوزي ـ الاذكياء ص١٨٢ •
(٢٢) ابن الجوزي ـ الاذكياء ص١٨٣ •
(٢٣) ابن الجوزي ـ الاذكياء ص١٨٣ •
(٢٤) الشابشتي ـ الديارات ص١٠٠ •

بالمأمون[٢٥] . وظلت عادة النثار ، متبعة طيلة العهد العباسي[٢٦] ، فشوهدت في حفلي ختان المعتز بن المتوكل[٢٧] ، وأولاده المقتدر ، حتى قيل ان النفقات ، بلغت في يوم ختان اولاد هذا الخليفة ، بلغت ستمائة الف دينار ، حيث وزعت دراهم وكسوة[٢٨] . وقد اتبع سائر الناس عادة النثار ، وصاروا فضلا عن ذلك ، يقدمون الهدايا الى العروس ، في صباح يوم زواجها[٢٩] .

أما عادات الحزن على الموتى ، فقد سادت مدن العراق ، في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، وشملت جميع طبقات المجتمع ، حتى نساء الخلفاء ، فيروى : ان ام المقتدر ، حزنت حزنا شديدا ، على وفاة ابنها الخليفة المقتدر ، ثم لم تلبث أن توفيت بعد فترة قصيرة[٣٠] .

أما عن ثياب العزاء ، فان المؤرخين ، وغيرهم من الكتاب ، لم يمدونا بمعلومات وافية ، عن لونها ووصفها . على اننا نستطيع ان نقول : انه كان يغلب عليها اللون الاسود ، وذلك على ضوء ما ذكره بعض المؤرخين ، عن وفاة الخليفة المستنصر العباسي سنة ٦٤٠هـ ، وارتداء رجال الدولة ، الثياب السوداء ، في يوم وفاة هذا الخليفة[٣١] .

---

(٢٥) الشابشتي – الديارات ص١٠١ .
(٢٦) محمد رضا الشبيبي – مؤرخ العراق ابن الفوطي ج٢ ص٩٧ .
(٢٧) الشابشتي – الديارات ص١٠٠ .
(٢٨) ابن الجوزي – المنتظم ج٧ ص١٢٧ .
(٢٩) ابن الجوزي – اخبار الظراف ص٨٩ .
(٣٠) ابن الطقطقي – الفخري في الآداب السلطانية ص٢٤٨ .
ابن الجوزي – المنتظم ج٦ ص٢٥٣ .
(٣١) ابن الجوزي – المنتظم ج٨ ص٢٩٥ .

ومن بين التعاليم الدينية ، التى اصبحت ايضا من العادات الشائعة ، زيارة قبور الائمة والشهداء من أهل البيت ، وكذلك قبر الامام أبي حنيفة ، ومشهد الصحابي سلمان الفارسي • وقد زار بعض الخلفاء ، قبور أهل البيت ، وكانت تنفق أموال كثيرة ، على قبور الشخصيات ، التى تتمتع بصفة دينية كأهل البيت[٣٢] •

ومن العادات الفارسية ، التى سادت في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، تقديم الهدايا في أيام عيدى النوروز والمهرجان[٣٣] • وكان الخلفاء ، يتقبلون الهدايا من افراد حاشيتهم ، وموظفيهم ، في جميع انحاء دولتهم ، فالمتوكل في يوم النوروز ، جلس لاستقبال المهنئين ، واستلام الهدايا [٣٤] • وقد تبلغ قيمة هدايا النوروز والمهرجان ، للخلفاء ، وأفراد أسرتهم ، مبلغا كبيرا ، يتجاوز خمسة وثلاثين ألف دينار[٣٥] • ومن عادة الناس ، في هذه الاعياد ، ان يغيروا الفرش ، والاثاث ، والملابس[٣٦] • ويتبادلوا الهدايا[٣٧] • كذلك كان يحتفل بعودة الحجاج الى بلادهم ، بعد أدائهم فريضة الحج[٣٨] • وكان الخلفاء ، يشتركون أحيانا في استقبال الحجاج ، فقد روى أنه في سنة ٣٩١هـ ، استقبل القادر بالله العباسي ، اهل خراسان القادمين من الحج ، في طريقهم الى المشرق[٣٩] •

---

(٣٢) ابن الفوطى ــ الحوادث الجامعة ص١٠٤ •
(٣٣) القلقشندى ــ صبح الاعشى ج٢ ص٤٢٠ •
(٣٤) القلقشندى ــ صبح الاعشى ج٢ ص٤٢٠ •
(٣٥) مسكويه ــ تجارب الامم ج١ ص١٥٥ــ١٥٦ •
(٣٦) البيرونى ــ الآثار الباقية ص٢٢٢ •
(٣٧) الثعالبى ــ يتيمة الدهر ج٢ ص٢٨١ •
(٣٨) ابن الجوزى ــ تلبيس ص١٤٠ ــ ف٣٨٢ •
(٣٩) ابن الجوزى ــ المنتظم ج٧ ص٢١٥ •

هذا وهناك ، عادات تشمل نواحي الحياة ، في المجتمع العـــراقي ، نذكر منها ما يتعلق ، بالطعام والملبس ، فمن العادات التى كانت متبعة عنـد تناول الطعام ، غسل الأيدى قبل الطعام وبعده[٤٠] فيبدأ رب البيت بالغسيل ، ثم يتبعه سائر المدعويين[٤١] • ويذكر كشاجم[٤٢] ان الناس اصطلحوا على اجلال رؤسائهم وملوكهم ، عند غسل أيديهم بحضرتهم ، وأجازوا ذلك مع نظرائهم • وقد اهتم بعض الكتاب ، بآداب الطعـــام ، نخص بالذكـر الغزالى[٤٣] وكشاجم[٤٤] •

وكان من بين العادات المتبعة في ذلك العهد ، ان تتخذ كل طبقة مـن طبقات المجتمع زيا خاصا بها ، فاتخذ الخلفاء ، السواد على اعتبار انه شـعار دولتهم[٤٥] • أما الوزراء وغيرهم من كبار موظفى دار الخلافة ، فاتخذوا الاقبية السوداء لباسا لهم[٤٦] •

وكان الندماء الذين يحضرون مجالس الخلفاء والوزراء ، يلبســون الاثواب الزاهية المصقولة[٤٧] • أما القضاة والفقهاء ، فيلبسون المبطنـة ، والطيلسان الاسود ، والدراعة السوداء[٤٨] والقلانس المستديرة الضخمة ، حتى منتصف القرن الرابع ، ثم أبدلت بالعمائم السود المصقـــولة[٤٩] •

---

(٤٠) كشاجم ــ أدب النديم ص٢٧ •
(٤١) الغزالى ــ احياء العلوم ج٢ ص١٦ •
(٤٢) أدب النديم ــ ص٢٧ •
(٤٣) أحياء العلوم ــ ج٢ ص١٦ــ١٨ •
(٤٤) أدب النديم ــ ص٢٧ وما فوق •
(٤٥) هلال بن الصابىء ــ الوزراء ص٢٦١ •
(٤٦) هلال بن الصابىء ــ رسوم دار الخلافة ص٩١ •
(٤٧) ابى الصيب الوشاء ــ الموشى ص١٨٣ •
(٤٨) الاصفهانى ــ الاغانى ج٥ ص٣٩٠ •
(٤٩) هلال بن الصابىء ــ رسوم دار الخلافة ص٩١ •

وكان الاطباء يلبسون عمامة كبيرة[٥٠] . واتخذ سائر الناس من التجار ، والصناع ، والفلاحين ، القمصان ، والدراعات ، والسراويل[٥١] .

وكان اغلب هذه العادات ، متبعا لدى كثيرين من أفـراد المجتمـع العراقى ، ولم يختلف عنهم بصورة واضحة ، سوى طائفة الصابئة ، ففى الزواج كانوا كالمسلمين ، يتبعون نظام الخطبة عن طريق أحد الوسطاء من الاقارب أو المعارف ، ثم يقوم علماء الدين بعقد القران ، ويقدم الصـداق حسب ثروة الزوج . وتنقل العروس الى مكان خاص قرب النهر ، تجرى فيه مراسيم الزواج ، باشراف علماء الدين ، وعلى رأسهم الفقيه . وقد جرت العادة عند الصابئة ، ان يحتفل بتعميد العروسين عند زواجهما ، فيرتديان ملابس خاصة ، ويجلسان على حافة النهر ، ثم تغطس رأسيهما ثلاث مرات ، ويرش الماء على جسديهما ، ويتناول كل منهما ثلاث جرعات من الماء ، ثم يرتديان ملابس اخرى ويعودان الى دارهما ، وهناك تجرى طقوس دينية ، يتولاها أحد علماء الصابئة ، يتناول بعدها العروسان ، نوعا خاصا من الطعام ، يتكون من الجوز ، والتمر ، والزبيب ، والكشمش ، والملح ، والبصل ، وبعد الانتهاء من هذه المراسيم ، يصبح الزواج مقبولا[٥٢] .

٢ ـ الاعياد والمواسم والمواكب :

اهتم المسلمون بالاحتفال بالاعياد ، والمواسم الدينية ، اهتماما كبـيرا ، وبخاصة في القرن الرابع الهجرى ، ومن الاعياد الدينية ، عيد الفطر ، وعيد

---

(٥٠) ابن الجوزى ـ الاذكياء ص١٠٦ .
(٥١) سيد أمير على ـ ص٣٨٨ .
(٥٢) عبدالرزاق الحسنى ـ الصابئون ص١٠٢ـ١٠٤ .

الاضحى . وهناك أعياد اسلامية اخرى ، منها مولد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[٥٣] ، وعيد رأس السنة الهجرية ، وعيد غدير خم ، وعيد الغار[٥٤] ، كذلك احتفل العباسيون بمواسم اخرى ، انتقلت الى الدولة الاسلامية من الفرس ، منها النوروز ، والمهرجان[٥٥] والسذق[٥٦] .

وكانت مظاهر الاسلام ، تتجلى في الاحتفال بعيدى الفطر والاضحى ، في جميع البلاد الاسلامية ، وبخاصه طرسوس ، حيث يتوافد اليهـا غزاة المسلمين ، من انحاء الدولة الاسلامية ، وترد اليها تبرعات الذين يتعذر عليهم الخروج للغزو[٥٧] وكان العباسيون ، يحتفلون بعيد الفطر ، في شيء كثير من الابهة والعظمة[٥٨] فتسطع الأنوار في بغداد ، وغيرها من المـدن في ليالى العيد ، وتتجاوب اصوات المسلمين ، بالتكبير ، والتهليل ، وتزدحم الانهار بالزوارق المزينة بأبهى الزينات ، وتسطع في جوانبها أنوار القناديل ، وتتلألأ الانوار الخاطفة للابصار ، في قصور الخلافة[٥٩] . ويستمر الاحتفال بالعيد ثلاثة ايام[٦٠] .

وقد جرت العادة في بغداد ، أن تشعل مصابيح المساجد طيلة أيام شهر رمضان ، وتخرج الانعامات من دار الخلافة الى الخاصة ، والعامة[٦١] طيلة

---

(٥٣) محمد جمال سرور ـ الحضارة الاسلامية في الشرق ص١٨٤ .
(٥٤) شمس الدين أبو عبدالله الذهبى ـ العبر في خبر من غبر ج٣ ص٤٣ .
(٥٥) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤١٩ـ٤٢٠ .
(٥٦) ابن منظور ـ لسان العرب ج١٠ ص١٥٥ .
(٥٧) محمد جمال سرور ـ الحضارة الاسلامية ص١٨٣ .
(٥٨) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٨ ص١٧١ .
(٥٩) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام ج٣ ص٤٥١ـ٤٥٢ .
(٦٠) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤١٦ .
(٦١) الكازونى ـ مقامة في قواعد بغداد ص٢٥ .

الايام الاربعة من أواخر شهر رمضان ، ويتهيأ الناس لاستقبال اليوم الاول ، من أيام العيد[٦٢] ، فيخرجون الى المساجد لاداء الصلاة[٦٣] .

وكان من عادة الخليفة ، أن يبارح قصره في أول يوم العيد ، فيسير في موكب مهيب ، مع رجالات الدولة بالاقبية السوداء[٦٤] . وعند مسير الموكب، يقف الناس على الجانبين مرتدين أحسن الازياء . ويسير الموكب الى المسجد الجامع للصلاة ، ويستقبله الناس بالتهليل والتكبير ، وهم ينادون (السلام على أمير المؤمنين ونور الاسلام) ، فيرد الخليفة عليهم التحية ، بلثم أطراف بردته والتلويح بها .

وبعد الانتهاء من الصلاة ، والقاء خطبة العيد ، يعود الخليفة بموكبه الى قصره ، لاستعراض الجند بملابسهم الجميلة ، وهم على ظهور الخيل ، والى جانبيه القواد والقضاة[٦٥] .

وكان الخليفة ، يلبس في هذا اليوم بردة الرسول ، ويضع بين يديه مصحف عثمان[٦٦] اما في يوم الموكب ، فيجلس الخليفة ، كما يقول هلال ابن الصابىء ، على كرسى مرتفع ، في دست كامل أرمنى أو خز ، ويقف الغلمان والخدم من خلف السرير ، وحواليه متقلدين السيوف ، ويقف من وراء السرير الى جانبيه خدم صقالبة ، وتمد في مواجهة الخليفة ستارة ديباج ، فاذا دخل رفعت ، واذا أريد صرفهم مدت[٦٧] .

---

(٦٢) القلقشندى ــ صبح الاعشى ج٩ ص٤٣ .
(٦٣) الكازرونى ــ مقامة في قواعد بغداد ص٧٦ .
(٦٤) التنوخي ــ نشوار المحاضرة ج٨ ص٩٠ .
(٦٥) ابن الجوزى ــ المنتظم ج١٠ ص٣٥ .
(٦٦) هلال بن الصابىء ــ رسوم دار الخلافة ص٩٠ .
(٦٧) رسوم دار الخلافة ــ ص٩١ .

وهناك مواكب في عيد الفطر ، يسير فيها القواد والوزراء ، لا تقل روعة عن مواكب بعض الخلفاء ، فقد وصف هلال بن الصابىء(٦٨) موكب القائد نازوك في يوم العيد ، بقوله : انه يسير وبين يديه أكثر من خمسمائة فراش ، بالشموع الموكبية سوى اصحاب النفط ، وعددهم كثير ، وبلغ من شدة الزحام ، ان الرجل كان لا يستطيع اجتياز الموكب • وكان القواد ، والامراء ، يلبسون في ذلك اليوم ، قباءا اسودا ، ويمتطقون بالمناطق ويتقلدون السيوف • اما القضاة ، فيلبسون الطيلسان ، والعمائم السود المصقولة(٦٩) •

وكانت تتجلى في الاحتفال «بعيد الاضحى»(٧٠) مظاهر الاسلام ، فيذهب الناس في صبيحة اول يوم ، فيه الى المساجد ، لاداء فريضة الصلاة (٧١)، كما كانوا يحرصون ، على اختلاف طبقاتهم ، على نحر الاضاحى ، وتوزيع لحومها على الفقراء ، والمحتاجين ، بل ان بعض الخلفاء ، كانوا يشتركون في ذبح الاضاحى ، فالخليفة المقتدر حين بويع سنة ٢٩٥هـ وزع في يوم الترويه (الثامن من شهر ذى الحجة) ويوم عرفة (التاسع من شهر ذى الحجة) من البقر والغنم ثلاثين الف رأس ، ومن الابل الفي رأس(٧٢) •

وكانت الحكومة الاسلامية ، تشرف على تنظيم موكب الحجاج في كل عام ، فتعين أميرا تختاره من الاشراف الطالبين ، يقوم برعاية شؤون الحجاج، منذ خروجهم من بغداد حتى يصلوا مكة ، وتنتهى مهمته عند عودتهم الى

---

(٦٨) رسوم دار الخلافة ـ ص١٠ •
(٦٩) هلال بن الصابىء ـ رسوم دار الخلافة ص٩١ •
(٧٠) البيرونى ـ الآثار الباقية ص٣٣٣ـ٣٣٤ •
(٧١) ابو طالب المكى ـ قوت القلوب ج١ ص١٠٦ •
(٧٢) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٦ ص٦٨ •

بغـداد[٧٣] . وكان يتم اختيار أمير الحاج ، في دار الخلافة ، بحضـــرة الخليفة ، والاشراف ، والقضاة ، والفقهاء ، ويخلع عليه[٧٤] . وكان حجاج الدولة الاسلامية ، يتجمعون في بغـداد ، حيث تهيء لهم الحكومة ، جميـع الوسائل التى تهون عليهم ، عناء السفر الى بلاد الحجاز ، وتزودهم بالمـاء والطعام ، الذى يقتصر عادة على الاقراص المعجونة ، باللبن والســكر والفواكه[٧٥] .

وكان يتقدم موكب الحجاج ، عند خروجه من بغداد حامل العلم ، ثم يتبعه ضارب الكوس ، وجند السفر ، والقواد ، والدعاة ، والحجاب[٧٦]. وعند وصول موكب الحجاج الى مكة المكرمة ، يقوم أمير الحج ، بالقاء خطبة نيابة عن الخليفة[٧٧] . وتعلق القناديل التى احضرت من بغداد ، عـــلى الكعبة ، وهى مصنوعة من الفضة والذهب . وتنصب الاعلام التى نقش عليها اسم الخليفة ، كما فعل أمير الحج أحمد بن الحسين الموسوى ، نقيب الطالبين سنة ٣٦٠هـ[٧٨] . وعند رجوع الموكب بعد الانتهاء من الحج ، يقام احتفال بحضرة الخليفة ، احيانا تقدم فيه الهدايا ، والخلع لافراد الحاشية ، وغيرهم من كبار رجال الدولة[٧٩] .

---

(٧٣) المسعودى ـ مروج الذهب ج٤ ص٣٢٠ـ٣٢٨ .

(٧٤) الكازرونى ـ مقامة في قواعد بغداد ص٧٤ .

(٧٥) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص٢٧٦ .

(٧٦) الكازرونى ـ مقامة في قواعد بغداد ص٧٤ .

(٧٧) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٦ ص٧٤ .

(٧٨) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص٨٤ .

(٧٩) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص٧٥ .

أما يوم الجمعة ، فكان يحتفل المسلمون ، احتفالا دينيا ، فيتـــوافدون فيه الى المساجد ، لاداء الصلاة ، ومنها مسجدا بغداد والرصافة . وظل الحال على ذلك ، الى ان استخلف المكتفى سنة ٢٨٩هـ ، فأمر بأن يجعل في موضع المطامير ، التى بناها ابوه المعتضد ، في القصر الحسنى ، لحبس الاعداء مسجد ، وهكذا اقيمت الصلاة يوم الجمعة في بغداد ، في ثلاثة مساجد منذ عهـــد المكتفى . كما كانت هناك مساجد اخرى في بغداد ، تقام فيها صلاة الجمعة ، منها مسجد براثا ، ومسجد الحربية وغيرهما(٨٠) .

وكان خطباء المساجد ، يرتدون عند القائهم خطبة الجمعـــة ، القباء الاسود ، ويعد هذا الزى ، رسما جاريا للفقهاء ، والقضاة حتى سنة ٤٠٠هـ ، ثم اصبح مقصورا على الخطباء والمؤرخين(٨١) .

كذلك اهتم العباسيون ، بالاحتفال بمولد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، منذ بداية القرن الرابع الهجرى . أما عن الاحتفال بمولد أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومولد ولديه ، الحسن والحســين ، ومولـد زوجته السيدة فاطمة الزهراء ، فكان الاهتمام به مقصورا عـلى الشيعة في العراق .

وكان عيد الغدير المعروف بغدير خم ، من الاعياد التى اهتم الشيعـة باحيائها ، وهو يوافق اليوم الثامن عشر من ذى الحجة(٨٢) . وسبب الاحتفال به ما يرويه المؤرخون ، أن رسول الله مر بغدير خم ، وهو في طريق عودته من مكة الى المدينة ، واخذ بيد علي بن أبي طالب ، وقال : «أما ترضى ان

---

(٨٠) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١ ص١٠٨ـ١٠٩ .
(٨١) المقدسى ـ احسن التقاسيم ص١٢٨ .
(٨٢) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤١٧ .

تكون مني بمنزلة هارون من موسى ألا أنه لا نبي بعـــدى» ، والتفت الى اصحابه وقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[٨٣] • ومما يجدر ذكره ، أن الشيعة تحي هذا العيد بالصلاة ركعتين في صبيحته •

وكان أول من احتفل بهذا العيد ، معز الدولة البويهى سنة ٣٥٢هـ[٨٤] فضربت الدبادب ، والبوقات ، وأسرع الناس الى زيارة قبور الاولياء ، في الكوفة وبغداد [٨٥] • واستمر الاحتفال به طيلة العهد البويهى ، ولا يزال يحتفل به احتفالا شعبيا في العراق •

وكان عامة أهل السنة ، يحتفلون باحياء ذكرى يوم الغار ، مضـــاهاة لعيد غدير خم • وقيل انه يوافق السادس والعشرين مـــن شـــهر ذى الحجة[٨٦] • وهو اليوم الذى دخل فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غار حراء ، وكان السنة يبالغون في هذا اليوم ، باظهار الزينات ، وايقـــاد النيران ، ونصب الاعلام واقامة الافراح ، وظل الاحتفال به طيلة القـــرن الخامس الهجرى[٨٧] •

أما الاعياد الفارسية ، التى احتفل بها العباسيون ، فهـــى النـــوروز ، والمهرجان ، والسذق • ويعد النوروز من أهم الاعياد الفارسية القديمة ،

---

(٨٣) ابن الجوزى ــ المنتظم ج٨ ص١٦ و ص١٤٦ •
(٨٤) النويرى ــ نهاية الارب ج١ ص١٧٧ •
(٨٥) ابن الجوزى ــ المنتظم ج٧ ص١٦ •
(٨٦) النويرى ــ نهاية الارب ج١ ص١٧٧ •
يرى الذهبى ان هذا التاريخ ليس صحيحا لان النبى (ص) دخل الغار في أواخر صفر واوائل ربيع الاول ، (العبر ــ ج ٣ص٤٢) •
(٨٧) ابن الجوزى ــ المنتظم ج٧ ص٢٥٧ •

وهو أول ايام السنة عند الفرس ، ويقع عند الاعتدال الربيعي . وكانت تقام الاحتفالات بهذا العيد مدة ستة ايام(٨٨) . وقد احتفل به الناس على اختلاف طبقاتهم ، في اوائل العصر العباسي ، وكانوا يتبادلون فيه الهدايا ، ويقيمون الافراح ، كما كان يفعل الفرس من قبل(٨٩) . وفضلا عن ذلك فان بعض الخلفاء ، اقتدوا بالفرس في جباية الخراج ابان النـــوروز(٩٠) . وكان المتوكل ، اكثر الخلفاء اهتماما بتوزيع الهدايا في هذا العيد ، فقيل انه منح الضمان الشاعر الخليع ، في هــذه المناســبة مائة دينار عــن كل بيت مــن الشعر(٩١) .

وكانت العامة تشارك في الاحتفال بهذا العيـــد ، ومنهم اصحــاب السماجات ، الذين كانوا يحضرون مجلس المتوكل ، وتنثر عليهم النقود . ويروى ان اسحاق الموصلي ، حضر مرة مجلس المتوكل في يوم النوروز . وكان اصحاب السماجات بين يديه ـ فأخذوا يقتربون منه ، حتى جذبوا رداءة ، فأمر المتوكل باعادته اليه ، فقال له اســـحاق : أتجلس في مجلس يبتذلك فيه مثل هؤلاء الكلاب ، حتى يجذبوا ذيل ثوبك ، وكل واحد منهم متنكر بصورة منكرة ، فما يؤمن أن يكون فيهم عدو ، له نية فاسدة منيت بك فقال له المتوكل : « يا أبا الحسن لا تغضب ! فوالله لا تراني على مثلها أبدا» ، وأمر ببناء مجلس ينظر فيه الى اصحاب السماجات(٩٢) .

---

(٨٨) النويري ـ نهاية الارب ج٤ ص٧٨ج القلقشندي صبح الاعشى ج٢ ص٤١٨ .

(٨٩) الجاحظ ـ التــاج ص١٥٩ القلقشـــندي ـ صبــح الاعشى ج٢ ص٤١٩ـ٤٢٠ .

(٩٠) المسعودي ـ مروج الذهب ج٤ ص٢٠٣ ابن الاثير ـ الكامل ج٦ص٧٨

(٩١) المسعودي ـ مروج الذهب ج٤ ص٧٢ .

(٩٢) التنوخي ـ نشوار المحاضرة ج٨ ص١٤٠ .

وكانت الهدايا توزع بين الامراء ، والوزراء ايضا[٩٣] • وتقدم الى الخلفاء في مثل هذه المناسبة ، فالمأمون اهدى اليه سفط ذهب ، فيه قطعة عود هندى[٩٤] • كما كانت تقدم الهدايا ايضا ، الى الامراء وغيرهم من رجال الدولة[٩٥] •

وكان من مظاهر الاحتفال بيوم النوروز ، ان يرش الماء على المارة ، حتى أكثروا من ذلك مرة ، فأصاب الجند والشرطة منهم ماء كثير ، فنودى في الارباع والاسواق ببغداد سنة ٢٨٤هـ بالنهى عن رش الماء[٩٦] • ويذكر البيرونى[٩٧] ان عادة الرش كانت ولا تزال موجودة في سنة ٤٠٠ للهجرة •

أما عيد المهرجان ، فيقع في السادس والعشرين من تشرين الاول ، وبينه وبين النوروز مائة وسبعة وستون يوما ، أى في وسط الخريف ، ومدة الاحتفال به ستة أيام وفيه يقول الشاعر :ـ

أحب المهرجان لان فيه سرورا للملوك ذوى الثناء
وبابا للمصير الى ثواب تفتح فيه ابواب السماء

ويشترك في الاحتفال بهذا العيد ، جميع طبقات المجتمع ، وهو شبيه بعيد النوروز ، من حيث تقديم الهدايا ، ومنح الخليفة الخلع ، وملابس الشتاء الى قواد ورجال دار الخلافة[٩٨] • ويجلس الخلفاء في مثل هذا

(٩٣) الجاحظ ـ المحاسن والاضدار ص٣٦٢ •
(٩٤) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤٢٠ •
(٩٥) الثعالبى ـ يتيمة الدهر ج٢ ص٢٨٠ •
(٩٦) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ج٨ ص١٨١ •
(٩٧) الآثار الباقية ـ ص٢١٥ـ٢١٨ •
(٩٨) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤٢٠ •

اليوم للعامة . يقول الجاحظ[٩٩] : « ولا يحجب الخليفة عنه أحد ، في يومى النوروز والمهرجان ، صغيرا ولا كبيرا ولا جاهلا ولا شريفا » .

ومن الاعياد التى انتقلت من الفرس الى المسلمين ، عيد السدق ، الذى كانت تشعل النيران والشموع في ليلته[١٠٠] وكان يستعمل لذلك ، انواع مختلفة من الدهان[١٠١] .

هناك احتفالات اخرى ، تجرى على نطاق محدود ، كختمة القرآن التى يشترك فيها الاحداث . وتنظم لذلك مواكب ، يظهر فيها الاحداث بأحسن الازياء ، ويجوبون طرق المدينة ينشدون الاناشيد[١٠٢] . وتقام المآدب ، وتوزع الخلع على المقرئين[١٠٣] . ويشترك الرجال والنساء على السواء ، من أبناء المحلة في ذلك الاحتفال[١٠٤] . الذى كان شائعا في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة . كذلك كانت تقام في قصر الخلافة احتفالات خاصة ، لمنح الخلع ، والالقاب ، للامراء ، والوزراء ، والولاة عند توليهم[١٠٥] ، وهى تعد مظهرا من مظاهر تكريم الخلفاء لرجالات دولتهم[١٠٦] .

---

(٩٩) التاج ـ ص٥٩ .
(١٠٠) البيروتى ـ الآثار الباقية ص٢٢٢ .
(١٠١) القلقشندى ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤٢٢ .
(١٠٢) محمد رضا الشبيبى ـ مؤرخ العراق ابن الفوطى ج٢ ص٣٦ .
(١٠٣) ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص٣٨٢ .
(١٠٤) ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص١١٠ .
(١٠٥) هلال بن الصابىء ـ رسوم دار الخلافة ص١٣١ .
(١٠٦) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص١٦٤ .

وهناك احتفالات في مناسباب معينة ، كيوم عاشوراء ، وذكرى وفيات أفراد آل بيت الرسول • وكانت تتجلى فيها مظاهر الحزن ، وهي خاصة بالشيعة في العراق • وقد بدأ الاحتفال فيها معز الدولة البويهي(١٠٧) • واستمرت طيلة عهد بني بويه ، ففي هذه المناسبات كانت تغلق الاسواق ، والحوانيت ، ويقام العزاء ، ويرتدى الناس اللباس الاسود ، حدادا على وفاة الحسين ، أو أحد الائمة من آل البيت • ولا يزال الشيعة في العراق يحتفلون بها الى الوقت الحاضر •

٣ ـ المرأة وأثرها في المجتمع :

لا نستطيع ان نعطى صورة شاملة وصحيحة ، عن منزلة المرأة وصفاتها ، وميزاتها ، خلال القرنين الثالث والرابع ، ويرجع السبب في ذلك ، الى الفرق الشاسع بين حياة نساء الخلفاء ، والامراء ، وحاشيتهم من الجوارى ، وبين نساء الطبقة العامة ، التى تشمل اكثرية نساء المجتمع •

كانت المرأة في قصور الخلفاء ، اكثر حرية في تمتعها بمباهج الحياة ، فضلا عن استطاعتها ، الدخول في مضمار السياسة والادب ، بينما لا يتاح ذلك ، للمرأة من سائر أفراد الشعب ، اللهم الا عدد قليل منهن ، استطاع ان يظهر نبوغا في الادب والتصوف ، وكانت النساء في قصور الخلفاء ، يتميزن بعدة مميزات ، منها ان أغلبهن من عناصر اجنبية ، فيقول الجاحظ ليس من خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح ، والمنصور ، والامين(١٠٨) ، وحتى هؤلاء كان يجرى في عروقهم ، الدم الاجنبي من أمهاتهم • وكانت نساء قصور الخلفاء ، يتمتعن بحرية تامة ، اذ فتح أمامهن

---

(١٠٧) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص١٥ •
(١٠٨) المحاسن والاضداد ـ ص٢٥٤ •

أبواب الادب والغناء والسياسة ، فعلية أخت الرشيد ، طرقت باب الادب والغناء(١٠٩) • كما ان السيدة أم المقتدر ، كانت تتدخل في سياسة الدولة(١١٠) • وفضلا عما تقدم ، فقد كانت نساء قصور الخلافة ، يمتلكن ثروة كبيرة ، فالسيدة أم المقتدر ، كانت تملك ضياعا وأموالا وجواهرا • وكذلك أم المعتز(١١١) وأم المستعين كانتا تملكان ثروة كبيرة(١١٢) •

كذلك كانت الحال بالنسبة لبعض القهرمانات ، مثل فاطمة القهرمانة التى بلغت ثروتها ، مائتى ألف دينار عدا الهدايا(١١٣) • وزيدان القهرمانة ، كانت تملك سبحة ثمينة لم ير مثلها(١١٤) • كما ان بعض القهرمانات ، أسهمن في أعمال رئيسة بالدولة ، فقد أمرت السيدة أم المقتدر قهرمانتها (ثمل) ، بالجلوس في التربة التى بنتها في الرصافة ، للنظر في المظالم ، وكان يحضر مجلسها ، عدد من الوزراء ، والقضاة ، والفقهاء ، واستنكر الناس ذلك(١١٥) • كذلك سعت حسن الشيرازية ، في تولية المستكفى ، الخلافة ، ولم تلبث أن علا نفوذها ، وصارت تتدخل في شؤون الدولة(١١٦) • أما قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز ، فقد قامت بدور مهم في عزل المستعين ، ونقل الخلافة الى ابنها المعتز •

---

(١٠٩) الاصفهانى ــ الاغانى ج١٩ ص٧١ •

(١١٠) مسكويه ــ تجارب الامم ج٢ ص٢٥٣ •

(١١١) ابن الجوزى ــ المنتظم ج٦ ص٢٥٣ •

(١١٢) الطبرى ــ تاريخ الامم والملوك ج٨ ص٤٣٦ •

(١١٣) عماد الدين الدمشقى ــ البداية والنهاية ج١١ ص١٦٨ •

(١١٤) الثعالبى ــ ثمار القلوب ص٦٠٣ (تشتمل على ثلاثين درة كبيرة) •

(١١٥) ابن الاثير ــ الكامل ج٦ ص١٦٣ •

(١١٦) ابن العبرى ــ مختصر تاريخ الدول ص٢٨٩ •

وكان لبعض الجوارى ، اللاتى أقمن في القصور ، أثر كبير في المجتمع العراقى ، نخص باذكر منهن ، عريبا التى كان لها المام بالادب والشعر ، كما نبغت في الغناء(١١٧) ، وقد شهد لها بذلك كبار المغنين ، من أمثال اسحاق الموصلى ، واهتم الخلفاء بما نظمته من شعر ، فجمع لها الخليفة المعتمد ديوانا(١١٨) • واشتهرت محبوبة في أيام الخليفة المتوكل ، بالغناء والشعر ، وكانت تجيد الضرب على العود • ومن رثائها للمتوكل قولها المشهور :ـ

أى عيش يطيب لي   لا أرى فيه جعفرا(١١٩)
ملكا قد رأته عيني   قتيلا معفرا

كذلك كان لفضل الجارية ، شهرة فائقة في نظم الشعر • وقد روى : أنها كانت تعقد في مجلس المتوكل ، مناظرات شعرية • وقد ناظرت ذات مرة ، سعيد بن حميد ، وتبادلت معه الشعر فبدأ بقوله(١٢٠) :

من لمحب أحب في صغره
فقالت : فصار احدوثة على كبره
فقال : من نظر شفه فأرقه
فقالت : فكان مبدا هداه من نظره

وهناك عدد غير قليل ، من نساء ذلك العصر ، حملن مشعل العلم والنور، لنساء عصرهن ، وأغلبهن من بنات المحدثين ، والفقهاء ، والعلماء ، اللواتى

---

(١١٧) السيوطى – تاريخ الخلفاء ص٣٧ •
(١١٨) النويرى – نهاية الارب ج٥ ص٩٦ •
(١١٩) ابن الجوزى – ذم الهوى ص٣٤٣ •
(١٢٠) ابن الساعى – نساء الخلفاء ص٨٨ •

حافظن على سمعة المرأة ، وكانت لهن منزلة كبيرة ، في المجتمع العباسي ، نخص بالذكر منهن ، أمة الواحد المحاملي اسمها ستيتة(١٢١) ، التى درست على يد اسماعيل الوراق(١٢٢) وعلى يد ابيها القاضي أبي عبدالله المحاملي • وقد ذكر علمها ، المحدث أبو الحسن الدارقطني(١٢٣) كما درست على يد فقهاء الشافعية ، وأخذت تفتي على مذهبهم • ومن بين شهريات النساء في العلم ، ابنة ابراهيم الحربي(١٢٤) التى عاشت في نهاية القرن الثالث واوائل القرن الرابع ، ودرست العلم مع ابيها الذى كان يملك مكتبة كبيرة(١٢٥) •

كذلك برزت بعض النساء في دراسة الحديث ، مثل السيدة خديجة بنت موسى بن عبدالله البقال(١٢٦) • التى عاشت في القرن الرابع الهجرى ، كما اشتهرت كل من فاطمة ، بنت أبي بكر السجستاني(١٢٧) التى نقلت عن أبيها • وخديجة بنت محمد الشاهجانية(١٢٨) ، وغيرهن من النساء •

هناك فريق آخر من النساء المثقفات ، اتجهن خلال القرنين الثالث

---

(١٢١) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١٤ ص٤٤٢ بنت القاضي ابو عبدالله المحاملي •
ابن الجوزى ـ صفة الصفوة ج٢ ص٣١٥ •
(١٢٢) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٦ ص٢٧٨ •
(١٢٣) عماد الدين الدمشقي ـ البداية والنهاية ج١١ ص٢٤٢ •
الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١٤ ص٤٤٢ •
(١٢٤) عماد الدين الدمشقي ـ البداية والنهاية ج١١ ص١٧٢ •
ابن الجوزى ـ المنتظم ج٦ ص٣١٥ •
(١٢٥) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١٤ ص٤٤٢ •
(١٢٦) ابن الجوزى ـ المنتظم ج٧ ص١٢٨ •
(١٢٧) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١٤ ص٢٤٢ •
(١٢٨) السمعاني ـ الانساب ص٥٧١ •
الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ج١٤ ص٤٤٦ •

والرابع بعد الهجرة ، الى حياة الزهد والتصوف ، نذكر من بينهن : جوهرة[١٢٩] زوجة أبي عبدالله البراثي ، وكانت عابدة متزهدة . وكذلك السيدة زينب بنت سليمان بن العباس[١٣٠] وميمونة المتصوفة[١٣١] ، وقد نوه عنها علماء الصوفية ، كأبي الحسن الصوفي ، وسعيد بن سلام ، وأبي بكر الرازي[١٣٢] ، مما يدل على علو منزلتها في الثقافة الدينية . كذلك اشتهرت بالتصوف ، كل من طاهرة التنوخية ، وفاطمة بنت ابي الشخمير[١٣٣] وغيرهما من النساء .

ونقف مما ذكرناه عن اولئك النساء ، اللاتي اشتهرن في مضمار العلوم المختلفة ، أن المرأة في القرنين الثالث والرابع ، لم تصل الى درجة من المعرفة والشهرة ، كما وصل الرجل . والمعروف أن القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، عرفا بانتشار الحضارة بعناصرها المختلفة ، وأن العراق كانت تعد مركزا ثقافيا في العالم الاسلامي ، وبقيت محافظة على ذلك ، منذ عهد المتوكل حتى نهاية العصر البويهي ، حيث ظهر عدد كبير من العلماء ، والفلاسفة ، والادباء ، والفقهاء ، والمؤرخين ، في هذه الحقبة من الزمن ، وكان لتلك النهضة الثقافية ، أثر في دفع المرأة ، للاسهام ، ولو بصورة محدودة ، في دراسة العلوم النقلية ، والعقلية .

---

(١٢٩) ابن الجوزي ـ صفة الصفوة ج٢ ص ٢٩٣ .
السمعاني ـ الانساب ص٧١ .
(١٣٠) العسقلاني ـ تهذيب التهذيب ج٦ ص٢١١ .
الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ج١٤ ص٤٣٥ .
(١٣١) ابن الجوزي ـ صفة الصفوة ج٢ ص٢٩٦ .
عماد الدين الدمشقي ـ البداية والنهاية ج١١ ص٣٣٣ .
(١٣٢) ابن الجوزي ـ المنتظم ج٧ ص١٧٦ و ١٢٢ و ١٣٤ .
(١٣٣) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ج١٤ ص٤٣٠ و ٤٤٥ .

أما عن الغناء ، فان هذا النوع من الفن ، اصبح تدريجيا من اختصاص المرأة ، ويرجع السبب في ذلك ، الى اشتغال الجوارى به • وكانت الجوارى لا تتقيد بتقاليد المجتمع ، فيتمتعن بالحرية التامة ، ويسمح لهن ان يفعلن ما لا تفعله المرأة الحرة ، ومن ثم اندفعن في تطور الغناء والموسيقى •

وكان بعض الاتقياء من المسلمين ، يمتنع عن الاستماع الى غناء المغنيات، لانه في رأيهم طريق الفساد[١٣٤] • وبلغ ببعض الفقهاء ورجال الدين ، أنهم لم يقبلوا شهادة المغنى[١٣٥] • وكان الحنابلة يوجهون حملات شديدة ضد المغنيات ، ومع ذلك فان مجالس الغناء ، ظل يتردد اليها الناس على اختلاف طبقاتهم[١٣٦] • ويرجع سبب ذلك ، الى اشتراك الجوارى المغنيات في احيائها •

لم يظهر في القرنين الثالث والرابع ، نساء مثقفات بالثقافة الادبية ، لهن تأثير في المجتمع ، الا بعض الجوارى اللاتى اشتهرن بالغناء ، ودراسة لادب ، أمثال عريب جارية المأمون[١٣٧] ، ومحبوبة جارية[١٣٨] المتوكل ، وغيرهما من الجوارى المغنيات •

وكان هناك نساء محدثات ومتصوفات ، لهن تأثير كبير في المجتمع ، يتجلى في صرف كثير من الناس عن الانهماك في الملذات ، والفساد ، ونهيهم عن ارتكاب المنكرات • ولاشك ان تصوف المرأة ، الذى تجلت مظاهره في

---

(١٣٤) النويرى ـ نهاية الارب ج٤ ص١٦٨ •
(١٣٥) ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص٢٢٣ •
(١٣٦) ابن المعمار ـ الفتوة ص١٧٦ و ٢٤٩ •
(١٣٧) النويرى ـ نهاية الارب ج٥ ص١١٣ •
(١٣٨) الابشيهى ـ المستطرف ص٢١٤ •

القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، نشأ عن رغبة اكيدة في الزهد ، والانصراف عن ملاذ الحياة .

اما نساء قصور الخلفاء والامراء ، فقد كان لكثير منهن ، أثر في اصلاح مرافق الدولة ، وعلى رأسهن السيدة زبيدة زوجة الرشيد ، التى استخدمت نفوذها ، لتيسير حصول أهل مكة ، والحجاج على ماء الشرب ، فعهدت الى بعض المهندسين ، والعمال ، بتوصيل الماء الى مكة ، ولا يزال يجرى اليها حتى اليوم[١٣٩] .

وكانت السيدة أم المقتدر ، تنفق أموالا كثيرة على أعمال الخير ، فأنشأت مارستانا في بغداد ، وعهدت الى خيرة الاطباء بادارته ، وقد بلغت نفقته في كل شهر ، ثمانمائة دينار[١٤٠] . وكانت السيدة تتصدق بأكثر من الف الف دينار ، وتعنى برعاية الحجاج ، فأمرت باصلاح الحياض ، والطرق ، في طريق الحجاج من بغداد الى مكة[١٤١] .

كذلك كان للسيدة جميلة بنت ناصر الدولة الحمدانى ، مآثر كثيرة ، اذ وزعت اثناء حجها ، كثيرا من الاموال على الفقراء ، كما اطعمت الحجاج ، السويق والسكر[١٤٢] .

وصفوة القول أن منزلة المرأة في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ،

---

(١٣٩) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسى ج٢ ص٣٣٢ .

(١٤٠) ابن ابى اصيبعة ـ طبقات الاطباء ص٣٠٢ .

(١٤١) الدمشقى ـ البداية والنهاية ج١١ ص١٢٨ .

(١٤٢) الثعالبى ـ لطائف المعارف ص٨٤ .

لم تكن تبعث على الارتياح ، اذ فقدت شخصيتها ومكانتها ، بتأثير انتشار الجوارى في جميع البيوت ، مما كان له تأثير سيء في المجتمع ، اذ تهافت الرجال على الاكثار من الزوجات ، لانهم لا يصادفون عناء في اتخاذ الجوارى(١٤٣) واصبحت المرأة تبعا لذلك ، العوبة في أيدى الرجال . وفقدت الاطمئنان على مصيرها(١٤٤) ، مما أدى بها الى الانحراف عن طريق الفضيلة(١٤٥) وانفصمت عرى الروابط العائلية ، بصورة عامة ، على الرغم من وجود عوائل الزهاد ، والمتدينين ، اللاتى تمسكن بالتقاليد العربية والاسلامية .

---

(١٤٣) ابن الجوزى ـ الاذكياء ص٨٢ .

(١٤٤) ابن الجوزى ـ اخبار الظراف ص٨٩ .

(١٤٥) ابن الجوزى ـ تلبيس ابليس ص٣٨٥ .
الوشاء (ابى الطيب) ـ الموشى ص١٥٣ .

المصادر الاولية

المصادر الاولية

١ ـ الابشيهى : شهاب الدين محمد بن أحمد ابى الفتح (ت ٨٥٠هـ) .

١ ـ المستطرف في كل فن مستطرف . القاهرة ١٩٦٠ .

٢ ـ ابن الاثير : ابو الحسن علي ابن ابي الكرم محمد الشنيـانى الملقب بعز الدين (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) .

٢ ـ تاريخ الكامل عشرة اجزاء (١٣٤٨ هـ) .

٣ ـ الاربلى : عبدالرحمن سنبط قنيتو الاربلى (ت٧١٧ هـ) .

٣ ـ خلاصة الذهب المسبوك في مختصر من سير الملوك ، حققه مكى السيد جاسم .

٤ ـ الازدى : محمد بن احمد ابو المطهر ، عاش في القرن الرابع الهجرى.

٤ ـ حكاية ابى القاسم البغدادى ـ مطبعة كرل دنتر ، هيدلبرج ١٩٠٢

٥ ـ الاصطخرى : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسـى الاصطخـرى الكرخى (ت٣٤١هـ) .

٥ ـ مسالك الممالك ـ باعتناء أم.جي. ديغويه .
مطبعة بريل ، ليدن ١٩٢٧ .

٦ ـ الاصفهانى : ابو الفرج علي بن الحسن بن محمد القرشـى الاموى الكاتب (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) .

٦ ـ الاغانى (١٦ جزءا) حققته لجنة ، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٣٤٥-١٣٨١هـ/١٩٢٧-١٩٦١م • وطبعة التقدم ٢١ جزءا ١٣٢٣هـ •

٧ ـ ابن أبي اصيبعة : موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة السعدى الخزرجى ٦٦٨هـ/١٢٧٠م •

٧ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥م •

٨ ـ الف ليلة وليلة ـ ٤ اجزاء ، مطبعة محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة •

٨ ـ ابن بطلان : ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون الطبيب البغدادى ٤٥٥هـ/١٠٦٣م •

٩ ـ شرى الرقيق وتقليب العبيد ـ رسالة حققها عبدالسلام هارون ونشرها ضمن مجموعة رسائل باسم (نوادر المخطوطات) ، المجموعة الرابعة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤ •

٩ ـ البلخى : ابو زيد بن سهل (ت ٣٢٢ هـ) •

١٠ ـ كتاب البدء والتاريخ ـ ينسب الى مطهر بن طاهر المقدسى (٦ أجزاء) باريس ١٨٩٩م •

١٠ ـ البلاذرى : احمد بن يحيى بن جابر ٢٧٩هـ/٨٩٢م •

١١ ـ فتوح البلدان ـ عنى بنشره رضوان محمد رضوان ، المطبعة المصرية الازهر ، ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م .

١١ ـ بنيامين : بنيامين بن يونه التطيلي النباري الاندلسي ٥٦٩هـ .

١٢ ـ رحلة بنيامين ـ ترجمها عن الاصل العبرى وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد ، المطبعة الشرقية ، بغداد ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م .

١٢ ـ البيرونى : ابو الريحان محمد بن احمد ٤٤٠هـ .

١٣ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية ـ باعتناء الدكتور س. أدوارد سخاو ، لايبزك ١٩٢٣م .

١٣ ـ البيهقى : ابراهيم بن محمد ٣٢٠هـ/٩٣٢م .

١٤ ـ المحاسن والمساوىء ـ دار صادر دار بيروت . بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

١٤ ـ التنوخى : ابو على المحسن بن على القاضى ٣٨٤هـ .

١٥ ـ نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، أو جامع التواريخ ج١ و ج٨ نشرة مرجليوت ، القاهرة ١٩٢١ ، ج٨ نشره المجمع العلمى العربى بدمشق ، مطبعة المفيد ، دمشق ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م .

١٦ ـ الفرج بعد الشدة ـ جزءان دار الطباعة المحمدية القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

١٥ ـ اتليدى :

١٧ ـ اعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بنى العباس طبعة مصـــر ١٢٧٩هـ •

١٦ ـ التوحيدى : ابو حيان (٣٨٠هـ) •

١٨ ـ الامتاع والمؤانسة ـ ٣ اجزاء ، تحقيق احمد امين واحمـــد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـــر • القاهـرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م •

١٧ ـ الثعالبى : ابو منصور عبدالملك بن محمد الثعالبى النسيابورى ٤٣٠هـ •

١٩ ـ التمثيل والمحاضرة ، تحقيق عبدالفتاح الحلو ، مطبعة عيسى البابى الحلبى • القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م •

٢٠ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب تحقيق محمد ابو الفضـل ابراهيم دار النهضة مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م •

٢١ ـ فقه اللغة وسر العربية ـ تحقيق السقا وابراهيم الابيـــارى ، وعبدالحفيظ الشلبى ، مطبعة البابى الحلبى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م •

٢٢ ـ لطائف المعارف ـ تحقيق ابراهيم الابيارى وحســـن كامل الصيرفي • دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م•

٢٣ ـ يتيمة الدهر ـ اربعة اجزاء ، مطبعة السعادة ، القـــاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م •

١٨ ـ الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) .

٢٤ ـ البخلاء ـ حققه طه الحاجرى . دارالمعارف ، القاهرة ١٩٦٣ .

٢٥ ـ البيان والتبين ـ اربعة اجزاء ، تحقيق عبدالسلام هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

٢٦ ـ الحيوان ٧ اجزاء تحقيق وشرح عبدالسلام هارون . مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده ١٩٥٠م .

٢٧ ـ ثلاث رسائل ـ باعتناء يوشع فنكل ، المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٨٢هـ .

٢٨ ـ رسائل ـ جمعها ونشرها حسن السندوبى ، المطبعة الرحمانية القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

٢٩ ـ رسائل الجاحظ ـ (١١ رسالة) ، مطبعة التقدم ، القاهرة ١٢٣٤هـ .

٣٠ ـ المحاسن والاضداد ـ عنى بتصحيحه محمد امين الخانجى . مطبعة السعادة القاهرة ١٢٣٤هـ .

٣١ ـ التاج في اخلاق الملوك ـ تحقيق احمد زكى باشا ، الطبعة الاولى مطبعة الاميرية القاهرة (١٣٢٢هـ/١٩١٤م) .

٣٢ ـ مفاخرة الجوارى والغلمان ـ تحقيق شارل بلا ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٧م .

١٩ ـ ابن جبير : ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الاندلسى ٦١٤هـ •

٣٣ ـ رحلة ابن جبير ـ باعتناء أم•جي ديغويه • الطبعة الثانية ليدن ١٩٠٧م •

٢٠ ـ ابن الجوزى : ابو الفرج عبدالرحمن بن على ٥٩٧هـ/١٢٠١م •

٣٤ ـ اخبار الحمقى والمغفلين ـ صححه كاظم المظفر • النجف ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م •

٣٥ ـ اخبار الظراف والمتماجنين ـ باعتناء القدسى ، مطبعة التوفيق دمشق ١٣٤٧هـ •

٣٦ ـ الاذكياء ـ تحقيق محمد الصديق الغمارى ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة •

٣٧ ـ تلبيس ابليس او نقد العلم والعلماء صححه وعلق حواشيه محمد منير الدمشقى ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة •

٣٨ ـ ذم الهوى ـ تحقيق مصطفى عبدالواحد ومراجعة محمد الغزالي • مطبعة السعادة ١٣٨١هـ/١٩٦٣م •

٣٩ ـ صفة الصفوة ـ ٤ أجزاء ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن ١٣٥٥ •
المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن ١٣٥٨هـ •

٤٠ ـ المدهش ـ مطبعة الاداب ، بغداد / ١٣٤٨هـ •

٤١ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ـ عشرة اجزاء مطبعة دائرة

٢١ ـ ابن حسول : محمد بن ابى العلاء بن حسول (٤٥٠هـ) •

٤٢ ـ تفضيل الاتراك على سائر الاجناد • طبعة انقرة ١٩٤٠م •

٢٢ ـ الحموى : شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى ٦٢٦هـ •

٤٣ ـ معجم البلدان ، عشرة مجلدات مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م وطبعة طهران ١٩٦٥م •

٢٣ ـ ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن على بن حوقل النصيبى ٣٦٧هـ •

٤٤ ـ صورة الارض • مطبعة نيبان وشركاؤه لبنان •

٢٤ ـ الخالديان : ابو بكر محمد ٣٨٠هـ • وابو عثمان سعيد ٣٩٠هـ •

٤٥ ـ التحف والهدايا ـ عني بتحقيقه ووضع نهايته سامى الدهان دار المعارف مصر ١٩٥٦م •

٢٥ ـ ابو الخطاب الفاطمى : عمر بن بسام •

٤٦ ـ النبراس • بغداد ١٩٤٦م •

٢٦ ـ الخطيب البغدادى : ابو بكر احمد بن على ٤٦٣هـ •

٤٧ ـ تاريخ بغداد او مدينة السلام ـ ١٤ جزءا تصحيح محمد حامد النقى • مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م •

٢٧ ـ ابن خرداذية : ابى القاسم عبدالله بن عبدالله (٣٠٥هـ) •

٤٨ ـ المسالك والممالك باعتناء ام•جي ديفويه ، بريل ، ليدن ١٣٠٩هـ •

٢٨ ـ ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد ٨٠٨هـ •
٤٩ ـ مقدمة ابن خلدون • المطبعة البهية ـ مصر •

٢٩ ـ ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر ٦٨١هـ •

٥٠ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ـ ٦ اجزاء ، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد محى الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٩م •

٣٠ ـ ابن كثير الدمشقى : عماد الدين ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى •

٥١ ـ النهاية والبداية في التاريخ • ٤ أجزاء ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٥١ـ١٩٣٢ •

٣١ ـ الدمشقى : ابو الفضل جعفر بن على •
٥٢ ـ الاشارة الى محاسن التجارة (القرن السادس الهجرى) ، مطبعة المؤيد ، دمشق ١٣١٨ •

٣٢ ـ الذهبى : شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أحمد ٧٤٨هـ •
٥٣ ـ العبر في خبر من غبر ـ المنشور منه لحد الان اربعة اجزاء الاول والرابع تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، الثانى والثالث تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٠ـ١٩٦٣
٣٣ ـ الرازى : محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر • عاش في القرن السابع الهجرى •

٥٤ ـ مختار الصحاح ـ عنى بترتيبه محمد خاطر بك ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٣٤٥هـ/١٩٦٢م •

٣٤ ـ ابن رستة : ابو على احمد بن عمر • عاش في القرن الثالث الهجرى •

٥٥ ـ الاعلاق النفسية ـ باعتناء أم•جى • ديغويه ، بريل ، ليدن ١٨٩٢م •

٣٥ ـ الزبيدى : محب الدين السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى ١٢٠٥هـ •

٥٦ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، عشرة اجزاء ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦هـ •

٣٦ ـ ابن الساعى : تاج الدين ابو طالب علي بن انجب البغدادى ٦٧٤هـ •

٥٧ ـ نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر •

٣٧ ـ السبكى : تاج الدين عبدالوهاب ٧٧١هـ •

٥٨ ـ معيد النعم ومبيد النقم ـ تحقيق على النجار وابو زيد شلبى ومحمد ابو العيون ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨

٣٨ ـ السمعانى : ابى سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمى (٥٦٢هـ) •

٥٩ ـ كتاب الانساب • لندن ١٩١٢ •

٣٩ ـ ابن سيدة : ابو الحسن على بن اسماعيل ٤٥٨هـ ٠
المخصص ـ ١٧ جزءا المطبعة الاميرية ببولاق القاهرة ١٣٦١/١٣٢١ ٠

٤٠ ـ السيوطى : جلال الدين ابو الفضل عبدالرحمن بن ابى بكر ٩١١هـ ٠
٦١ ـ تحذير الخواص من اكاذيب القصاص ، مطبعة المعاهد ، القاهرة ١٣٥١هـ ٠
٦٢ ـ تاريخ الخلفاء ، القاهرة ٠

٤١ ـ سيد امير على :
٦٣ ـ مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى ـ تعريب رياض رأفت القاهرة ١٩٣٨م

٤٢ ـ الشابشتى : ابو الحسن علي بن محمد ٣٨٨هـ ٠
٦٤ ـ الديارات ـ تحقيق كوركيس عواد ٠ مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥١ ٠

٤٣ ـ الشهرستانى :
٦٥ ـ الملل والنحل ـ القاهرة ١٨٤٠ م ٠

٤٤ ـ الشيبانى : محمد بن الحسن ١٨٩هـ/٨٠٤م ٠
٦٦ ـ المخارج في الحيل ـ باعتناء شخت ، لايبزك ١٩٣٠م ٠

٤٥ ـ الشيزرى : عبدالرحمن بن نصر (٥٨٩/١١٩٣م) ٠
٦٧ ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة تحقيق السيد الباز العربى مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م ٠

٤٦ ـ الصابى : ابو الحسن (أو الحسين) الهلال بن المحسن ٤٤٨هـ •

٦٨ ـ رسوم دار الخلافة ـ تحقيق ميخائيل عواد • مطبعة العاني بغداد ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م •

٦٩ ـ الوزراء ـ تحقيق عبدالستار احمد فراج • دار احياء الكتب العربية ١٩٥٨ •

٧٠ ـ اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء (جمعها وعلق عليها ميخائيل عواد) مطبعة المعارف بغداد ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م

٤٧ ـ الصولى :

٧١ ـ الاوراق ـ القاهرة مطبعة الحلبى ١٩٥٨م •

٤٨ ـ ابن طاهر : مطهر بن طاهر المقدسى •

٧٢ ـ البدء والتاريخ ـ ٦ اجزاء ـ باعتناء كليمان هوار ١٨٩٩هـ/ ١٩١٩م ، مطبعة برطرندة رشالون •

٤٩ ـ الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ) •

٧٣ ـ تاريخ الامم والملوك • مطبعة الاستقامة ، مصر ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م

٥٠ ـ ابن الطقطقى : محمد بن على بن طباطبا (٧٠٩هـ)

٧٤ ـ الفخرى في الاداب السلطانية والدولة الاسلامية • مطبعة المعارف ، مصر ١٩٢٣م •

٥١ ـ ابن طيفور : ابو الفضل احمد بن طاهر الكاتب ٢٨٠هـ •

٧٥ ـ بغداد ـ صححه محمد زاهد الكوثرى عني بنشره ومراجعة اصله عزت العطار الحسينى (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) •

٥٢ ـ ابن عبد ربه : ابى عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ٣٢٧هـ •
٦٧ ـ العقد الفريد ـ ٨ اجزاء ـ القاهرة ١٩٤٠م •

٥٣ ـ ابن العبرى : غريغوريوس الملطى (٦٨٥هـ) •
٧٧ ـ تاريخ مختصر الدول ـ الطبعة الثانية ـ المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٨م •

٥٤ ـ العسقلانى : ابن حجر العسقلانى •
٧٨ ـ تهذيب التهذيب ـ حيدر آباد ١٨٦٢م •

٥٥ ـ الغزالى : ابو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ) •
٧٨ ـ احياء علوم الدين ـ اربعة اجزاء ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده ، القاهرة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م •

٨٠ ـ تهافت الفلاسفة ـ تحقيق الاب موريس يونج اليسوعى الطبعة الثانية ، مطبعة الكاثوليك ، بيروت ، بيروت ١٩٦٢م •

٥٦ ـ ابو الفداء : اسماعيل بن علي بن محمد (٧٣٢هـ) •
٨١ ـ المختصر في اخبار البشر ، مجلدان ، دار الكتاب اللبنانى بيروت •

٥٧ ـ ابن الفوطى : ابو الفضل عبدالرزاق بن احمد (٧٢٣هـ) •
٨٢ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة • تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة الفرات ، بغداد ١٩٥١ •

٥٨ ـ ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ) •
٨٣ ـ كتاب المعارف ، حققه ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٠م •

٥٩ ـ القرطبي : عريب بن سعد الكاتب (٣٦٩هـ) .
٨٤ ـ صلة تاريخ الطبرى ـ مطبوع في تاريخ الطبرى ج ١٢ منه الطبعة الحسينية ، مصر .

٦٠ ـ القشيرى : ابو القاسم عبدالكريم بن هوازن النيسابورى الشافعى .
٨٥ ـ الرسالة القشيرية ـ مصطفى البابى الحلبى واولاده ، القاهرة ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م .

٦١ ـ القفطى : جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف الشيبانى ٦٤٦هـ .
٨٦ ـ تاريخ الحكماء ـ باعتناء جوليس ليبرت ، ليبزك ١٩٠٣م .

٦٢ ـ القلقشندى : ابو العباس احمد ٨٢١هـ .
٨٧ ـ صبح الاعشا في صناعة الانشا ـ ١٤ جزءا ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩١٣-١٩١٧م .

٦٣ ـ الكازرونى : ظهير الدين ابو الحسن علي بن محمد (٦٩٧هـ) .
٨٨ ـ مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ـ تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد . مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٢م .

٦٤ ـ الكتبي : محمد بن شاكر بن احمد (٧٦٤هـ) .
٨٩ ـ فوات الوفيات (١٢ جزء) ـ حققه محمد محى الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة ، مصر ـ ١٩٥١م .

٦٥ ـ كشاجم : محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك ٣٦٠هـ .
٩٠ ـ أدب النديم ـ بولاق ١٢٨٩ م .

٦٦ ـ الماوردى : ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م .

٩١ ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة الاتحاد المصرى ـ مصر •

٦٧ ـ المسعودى : ابو الحسن على بن ابى الحسين بن على ٣٤٦هـ •
٩٢ ـ التنبيه والاشراف ـ دار الصارى للطبع والنشر ، القاهرة •

٩٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ (٩ اجزاء) باريس ١٨٧٧ و (٤ اجزاء) القاهرة ١٩٣٨ •

٦٨ ـ ابن مسكويه : ابو على احمد بن محمد بن مسكويه الخازن ٤٢١هـ •
٩٤ ـ تجاوب الامم ـ جزءان ـ مطبعة بريل ليدن ١٨٧٤م •

٩٥ ـ تهذيب الاخلاق ـ مطبعة مدرسة والدة عباس الاول ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م •

٦٩ ـ ابن المعمار : ابو عبدالله محمد بن ابى المكارم المعروف بابن المعمار البغدادى الحنبلى (٦٤٢هـ) •

٩٦ ـ الفتوة ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور تقى الدين الهلالى والدكتور عبدالحليم النجار وأحمد ناجى العنبس ، مطبعة شفيق ١٩٥٨/١٩٦٠م •

٧٠ ـ المقدسى : شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد المقدسى البشارى ٣٧٥هـ •

٩٧ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ باعتناء ام• جى• ديغويه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦م •

٧١ ـ المقريزى : تقى الدين احمد بن علي ٨٤٥هـ •

٩٨ ـ الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ـ جزءان ، بولاق •

٧٢ ـ المكى : ابو طالب محمد بن علي ٣٨٦هـ •

٩٩ ـ قوت القلوب ـ ٤ اجزاء ـ المطبعة المصرية ، القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م •

٧٣ ـ ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ) •

١٠٠ ـ لسان العرب ـ ١٥ مجلد ، دار صادر ودار بيروت ١٣٧٤هـ-١٣٧٦هـ •

٧٤ ـ ابو المحاسن : جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى (٨٧٤هـ) •

١٠١ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لمطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) •

٧٥ ـ ابن النديم : محمد بن اسحاق •

١٠٢ ـ الفهرست ـ مطبعة الاستقامة ، القاهرة •

٧٦ ـ النويرى : شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (٧٣٢هـ) •

١٠٣ ـ نهاية الارب في فنون الادب ـ ١٨ جزءا ـ دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٩-١٣٦٩هـ/١٩٢٩-١٩٤٩م •

٧٧ ـ ابن الهبارية : نظام الدين ابو يعلى محمد بن محمد العباسى الهاشمى ٥٠٤أو ٥٠٩هـ •

١٠٤ ـ الصادح والباغم ـ نشره وشرح الفاظه وترجم له عزت العطار القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ٠

٧٨ ـ الهمداني : ابو الفضل بديع الزمان ٣٩٨هـ ٠

١٠٥ ـ مقامات الهمداني ـ قدم لها وشرح غوامضها الشيخ محمد عبده ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٨م ٠

٧٩ ـ الوشاء : ابو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى ٣٢٥هـ ٠

١٠٦ ـ الموشى او الظرف والظرفاء ، بيروت ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ٠

٨٠ ـ يزدجرد : يزدجرد بن مهمندار الفارسي ٠

١٠٧ ـ فضائل بغداد ـ عني بتحقيقه ونشره ميخائيل عواد مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٢م ٠

٨١ ـ اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (٢٨٤هـ)٠

١٠٨ ـ تاريخ اليعقوبي ـ جزءان ٠ بريل ليدن ١٨٨٣م ٠

١٠٩ ـ البلدان ـ المطبعة الثالثة ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ٠

٨٢ ـ ابو يوسف : القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام ابي حنيفة ٠

١١٠ ـ الخراج ، بولاق سنة ١٣٠٢ ٠

المصادر الثانوية

٨٣ ـ أحمد أمين :

١١١ ـ ظهر الاسلام ـ ٤ اجزاء ط٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧م .

٨٤ ـ أحمد ممدوح حمدى :

١١٢ ـ معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى ـ مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٩ .

٨٥ ـ آدم متز :

١١٣ : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ـ جزءان ط٣ ترجمة الدكتور محمد عبدالهادى ابو ريده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

٨٦ ـ بابو اسحاق روفائيل :

١١٤ ـ احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة شفيق بغداد ١٩٦٠م .

٨٧ ـ بارتولد :

١١٥ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ـ نقله من التركية الى العربية حمزة طاهر ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٤٢م .

٨٨ ـ جب هاملتون :

١١٦ ـ دراسات في الحضارة الاسلامية .تحرير ستانفورد شو ووليم بولك ، ترجمة الدكتور احسان عباس والدكتور محمد يوسف

نجم والدكتور محمود زايد • مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر • بيروت ـ نيويورك ١٩٦٤م •

٨٩ ـ حسن ابراهيم حسن :

١١٧ ـ تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافي والاجتماعى ٣ أجزاء الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦١-١٩٦٢م •

٩٠ ـ حسين نصار :

١١٨ ـ نشأة التدوين التاريخى عند العرب ـ مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة •

٩١ ـ الدورى :

١١٩ ـ تاريخ العراق الاقتصادى في القرن الرابع الهجرى ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م •

١٢٠ ـ دراسات في العصور العباسية المتأخرة • بغداد ـ مطبعة السريان ١٩٤٥م •

١٢١ ـ مقالة (نشوء الاصناف والحرف في الاسلام) ـ مجلة كلية الآداب عدد ١ حزيران ١٩٥٩م مطبعة العانى ، بغداد •

٩٢ ـ روزنتال فرانس :

١٢٢ ـ علم التاريخ عند المسلمين ـ ترجمة الدكتور صالح احمد العلى ، ومراجعة محمد توفيق حسن ، نشر مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٦٤ •

٩٣ ـ زكى محمد حسن :

١٢٣ ـ دليل متحف الفن الاسلامى ـ مطبعة دار الكتب المصـــرية ، القاهرة ١٩٥٢م •

٩٤ ـ زيدان جرجى :

١٢٤ ـ تاريخ التمدن الاسلامى ـ ٥ أجزاء باشراف الدكتور حسين مؤنس ـ دار الهلال •

٩٥ ـ سوسة ـ احمـد :

١٢٥ ـ سامراء • جزءان ، مطبعة المعارف سنة ١٩٤٨ •

٩٦ ـ الشبيبى محمد رضا :

١٢٦ ـ مؤرخ العراق ابن الفوطى ـ جزءان ـ طبع الجزء الاول في مطبعة التفيض بغداد ١٧٣٠/١٩٥٠م • والجزء الثانى طبـــع في مطبعة المجمع العلمى العراقى ـ بغداد ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م •

٩٧ ـ صالح العلى :

١٢٧ ـ التنظيمات الاجتماعية في القرن الثانى الهجرى في البصرة مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٣ •

٩٨ ـ عبدالرزاق الحسنى :

١٢٨ ـ الصابئون في حاضرهم وماضيهم • الطبعة الثالثة ـ مطبعـــة العرفان • صيدا ـ لبنان ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م •

٩٩ ـ فليب حتي وأدورد • جرجي وجبرائيل • جبور :

١٢٩ ـ تاريخ العرب مطول ـ ٣ أجزاء ، طبعة الثانية بيروت ١٩٥٣ـ ١٩٥٨ •

١٠٠ ـ كورنل ارنست :
١٣٠ ـ الفن الاسلامي ـ ترجمةالدكتور احمد موسىومراجعة ابراهيم الدسوقى ، مطبعة اطلس ، القاهرة ١٩٦١م •

١٠١ ـ لسترانج غي :
١٣١ ـ بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م •

١٠٢ ـ محمود بن محمد عرنوس :
١٣٢ ـ كتاب تاريخ القضاء في الاسلام المطبعة المصرية الاهلية الحديثة القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م •

١٠٣ ـ محمد جمال الدين سرور :
١٣٣ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ، دار الثقافة العربية للطباعة ـ عابدين ، القاهرة •
حسين مؤنس القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م •

١٠٤ ـ مصطفى جواد :
١٣٤ ـ ازياء العرب ـ مجلة التراث الشعبى ص٥ العدد ٨ •

١٠٥ ـ مليحة رحمة الله :
١٣٥ ـ الملابس في العراق خلال العصور العباسية ، المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث عشر •
١٣٦ ـ الغناء والموسيقى والمجالس الاجتماعية في العصر العباسى ، المجلة التاريخية المصرية المجلد الرابع عشر •

١٠٦ هل ـ ي :
١٣٧ ـ الحضارة ـ ترجمة الدكتور احمد العدوى ومراجعة الدكتور حسين مؤنس • القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م •

المصادر الاجنبية

1. Abbott, Nabia, Two Queens of Baghdad, Chicago 1946. ١٣٨ ١٠٧

2. Creswell, (K. A. C.); A short account of early Muslim Architecture 1932—1959. ١٣٩ ١٠٨

3. Dozy, (R. P. A.) Dectionnaire Details Des Noms, Des Vetements, chez les Arabs Amsterdam 1845. Lyden 1908. ١٤٠ ١٠٩

4. Encyclopedia of Islam, 4 vols, ١٤١ ١١٠

5. Herzfild, E. Sammara, Berlin, 1907. ١٤٢ ١١١

6. Jomier (J) Amir Al-Hadjadj; Encyclopedia of Islam Lyden 1927. ١٤٣ ١١٢

7. Khaddori, M. Law of War & Peace in Islam, London, Luzac Co. 1949. ١٤٤ ١١٣

8. Levy, R. Sociology of Islam, Vol. I and II — 1931—33 and Baghdad. ١٤٥ ١١٤

9. Moldeke, T. Sketches from Eastern History Translated by John Suthern and Black London, 1892. ١٤٦ ١١٥

10. Serjeant. (R. B.) Material for History of Islamic Textiles up to Mongol Conquest, 4 Vols. (1942—1946). ١٤٧ ١١٦

11. Smith, M. Rabia the Mystic Cambridge 1928. ١٤٨ ١١٧

12. Tritton, The Caliphs and Their Non-Moslim Subjects, England, Oxford Uni. Press. 1930. ١٤٩ ١١٨

13. Rahmatullah, Maleeha
    1. The treatment of the Dhimmis 1963. ١٥٠ ١١٩

2. The women of Baghdad in the ninth & tenth centuries as revealed in the history of Baghdad of Al-Hatib (A theisis for the degree of Master of Arts Penn. University 1952), 1963. ١٥١

3. A fourth century education, Abu-Hassan Ali b. Muhammed b. Khalifa Al-Qabisi, 1963. ١٥٢

الخلاصـــة

Summary

sts in Fikh and Ulemas, such as Ommat El Wahed El Mehamili, the daughter of Ibrahim El Harbi, El Sayeda Khadiga bint Mussa Ben Abdallah El Bakkal. Gowhara Wife of Abu Abdalla El Barathi and Maimuna El Mutassawefa.

There was another class of as the wives and mothers who carried out many reforms in the State. The most prominent figures of this type of women are Zubeida, El Sayeda mother of El Muktader, El Sayeda Gamila daughter of Nasser El Dawla El Hamdani, etc.

In conclusion, the status of women in the third and fourth Hijri centuries was not very satisfactory. They lost their personality and their position under the influence of women slaves who were found everywhere. Women were a play in the hands of man, and could not feel assured of their destiny, the fact which led to her deviation and the deterioration of family life in general.

as food, costumes, (each class had a special constume different from that of other classes.) The Sabia community had its own traditions which differed from those of other religious sects in matters of marriage, costumes and food.

Second: FEASTS, CELEBRATIONS AND CARNIVALS. Moslems celebrated the religious feasts and occasions especially the Fitr and Ad'ha feasts. The Caliphs together with the statesmen used to go to the mosque on the first day of the feast in a great convoy, welcomed by people with great enthusiasm. Other convoys used to be organized for commanders and ministers which were nonthe-less brilliant. The Abbsides also celebrated fridays and the prophet's birthday. Beni Bowehs added in the fourth Hijri century other celebrations, such as the Ghadir day, the birthday of Imam Ali and his sons and Ashura. Other Persian feasts such as the Neiruz and the Carnival were celebrated by Caliphs and masses. Also the day of Sedk was celebrated by illuminsting fires and candles on its eve.

Third: Women and their effect on Society.

Women were in the palaces of the Caliphs enjoying full freedom if they were prominent in letters, singing and politics. The most important figures were the sister of El Rashid, El Sayeda mother of El Moktader and Om El Mu'taz.

This same privilidge was enjoyed by all women living in Caliphs' palaces, even women slaves such as Oreib, Mahbuba, Fad and many others. Many women of this era carried the banner of science and light to their fellow women. Most of them were daughters of preachers, scienti-

was known by the name of El Kaimi because it is issued by the Caliph for the same purpose.

Part IV — Public Life in Urban Areas in Iraq :

First : Traditions and Manners. Traditions manners were very common among the great masses of Iraqis during the third and fourth Hijri centuries, because they related to their social life in general. One of the most important traditions which prevailed in the socieay was the determination of the relationship between sexes. The authorities were very concerned about the organization of this relationship. In general they prevented women from mixing with or appearing in front of man in public places. Although slave women were found everywhere, society looked and is still looking upon them as different from the free women.

Marriage had special customs and traditions which prevailed all over society, such as sthoseif "engagement", presentation of "Sadak" which took usually the form of cash was practiced even by the great masses, also the nuptial celebration when the women was taken to the house of her man where festivities are prepared by the groom according to his own means. Mourning habits prevailed in the urban areas of Iraq during this period and the black colour was adopted as a symbol of mouring among the caliphs statesman, and also the general masses. Other Persian habits were also very evident such as the presentation of gifts on the occasion of the Neiruz and Carnival feasts. The Caliphs and the masses observed this habit equally.

There were other habits covering other aspects of life

or to wail deaths. Thus the audience from both sexes increased and their meetings were full of persons whether they were held in mosques, streets, markets, or even cemetaries. The narrators had an influence on society. They conficts among the people. Adad El Dawla prohibited to narrators to show up in mosques and considered them a social disease. The same also was done by Caliph El Kader Billah El Abbasi.

Fourth: Preacher's Meetings.

These maintained their good fame all along the two first Hijri centuries, because the ordinary man was strongly attached tohis religion. These were private meetings attended by the preachers and a few people for the purpose of teaching and guidance. However these meetings did not maintain their position in the third and fourth centuries because myths were propagated by preachers, so many lies and fabrications appeared. Preachers first cared for material profit and held their meetings in many places other than mosques. They played a part in the adherance of some Caliphs or state governors to their side when they diseminated information or directed people to the paths desired by the Caliph of the govenor. They became the best means of propaganda for the ruling auth ority. However, the State sometimes controlled the behaviour of some preachers who would have deviated from their original purpose, chasing them and preventing them from preaching. This was done by El Kader Billah who issued a decree which commands people to do good and forbids evil. The second decree issused by al Ka'uim and

century. They were convened on some occasions such as marriage, circumcision or mere entertainment. Some Caliphs spent a lot of money on such meetings. Thus Princes and ministers followed the mode of holding singing gatherings in their homes, such as Abul Hassan Ali Ben El Furat the minister of Caliph El Muktader and Ali Ben El Furat the minister of Galiph El Mktader and Kassem Ben Obeid Allah, the Minister of El Mo'taded. These gatherings were attended by many personalities and poets. In spite of the attacks directed by the Hanabila against the role of singers of both sexes in the third and fourth centuries, singing was not affected and gutherings continued to be held in the palaces of Caliphs and even in the houses of people from the masses.

Third : Narrator Meetings :

These were of two kinds : the private and the public meetings.

The latter were held in the mosques and the former were introduced by Moawiya Ben Abi Sufyan and were centered on prayers for the Caliph, his family and his court.

In the early time of Islam the narrators existed and their meetings were devoted to the interpretation of the Islamic legislation until the middle of the seoond Hijri century. Then the situation changed and the high ethical spirit started to disappear from society in the third Hijri century. This situation remained until the fourth Hijri Century when the scientific level of narrators droped and they started to tell people stories, and imaginary legends, to invent or communicate false news to recite love poetry

society played also an important part in the development of this art. Most of these women slaves were Greeks and Persians enjoying a high foreign culture. Shagia is one of the woman slaves who excelled in playing musical instruments along side with singing. Also Abira El Tanbouria played musical instruments especially El Tanbour (Drums). Many other slaves could be mentioned in this respect.

Singers had a great impact on the evolution of singing. One of the most prominent figures is Ibrahim El Mossuli, who is of a Persian origin, and his son Ishaq who won fame by his deep knowledge of singing and music. Also Kahza the singer wrote seven books on singing, Munadama and food. Ibn Bana is one of those who combined the art of singing with writing.

The encouragement and interest devoted by the Caliphs to the class of singers contributed to a great extent toward the evolution of singing. El Rashid, El Wathek, El Mo'taded and El Mutamed were among these Caliphs.

Some Caliphs appreciated the singers so much that they invited them to attend their meetings. The love ot singing and music by certain Caliphs and writers contributed to the evolution of this art.. Some have wrote books on it. Others convened meetings to discuss the nature of singing and music such as El Wathek and El Mutamed.

Second : Singing and Entertainment Meetings : These were held in the palaces of the Caliphs and statesmen of the first Abbaside era and continued up to the fourth Hijri

El Muktader. When the historian El Khatib El Baghdadi descrimed the contents of El Muktader's palace he listed in his description the number of servants, the details of the furniture, the guards, major domos etc... In the fourth Hijri century Beni Boweh followed the example of Beni Abbas in the first Abbaside era in the construction of palaces and in the luxury of their furniture. The same also applies to the ministers. Caliphs paid a great attention to their costumes. At this epoch they had laid down rules which had to be followed as for example the type, and colour of dresses which should be put on at different times. They were influenced in this respect by the Persians. Women in the palaces of the Caliphs did the same. They excelled in the selection of dresses and their colours, the jewels and precious stones that were used in decorating these dresses, they were used prevsus stones in their crowns. belts, etc... This luxurious life which lasted for two centuries had a great impact on society. It encouraged the increase of the number of merchants, the rise of the standard of living, the enlargment of cities and the innovations in the art of building. It resulted, on the other hand, in noxious effects. There were great material differences between the masses and the higher direta ofrsocisty, a fact which led to many revolutions against the ruling authority and the rich, such as the revolution of "El Zing" and that of "El Zot".

Part III : deals with Singing, Music and Social Meetings.

First : Singing & Music developed considerably during the first Abbaside era for many reasons such as the influence of Persians and Greeks who adhered to Islam and brought with them a rich culture in singing and music. The spread of woman slaves in the Abbaside

Third : The Handicraftsmen : They comprised many elements and were divided into two groups : The free who lived in the cities and the slaves who tilled the land, worked as servants in houses or were employed in simple handicrafts. Their standard of living was low and most of them belonged to the poor class.

Fourth : The masses. They did not have a position in the Iraqi society. Writers described them as ignorant in religious and cultural affairs and they were given many in religious and cultural affairs and they gave them many names : the mean, the mob, the rabble, etc. They had no special costume nor traditions of their own. They had an influence on the life of society since they often revolted against the ruling authority. A group of them were called "El Ayyarian" and "El Shuttar". They had their own special costume called "El Mi'izar".

Part II : deals with the aspects of the luxurious life of the Caliphs and Senior statesmen. This was evident in the family of Beni Abbas and the beinning of the first Abbaside era. The Abbasides copied the Persians in building palaces, and in using servants and bondsmen. fom that antestors. Even their ,Caliphs') were by the Bawehis. The manifestations of luxury were quite atvious in the construction of the numerous palaces in the city of Samarra. El Mutawakel built there nineteen palaces on which he spent a total 94 million dirhems. The greatest mosque was built during this era, the "Jami'a" mosque of Samarra which was described by historians as being the boggest mosque built in Islam. In Baghdad palaces were built especially larly during the reign of El Mu'taded as well as that of

principles, such as "El Kharmia", and El Mihammara, which played a great role in this society.

Some of the Magi achieved fame as poets such as Ibn El Mukaffa and some were appointed as secretaries of state by the Caliph.

(C) Social Denominations :

First : The Ulemas. Baghdad was their centre in the third and fourth Hijri centuries. The Ulemas were linguists, orators, philosophers or historians. The ministers of Beni Boweh played a great role in the promotion of the scientific and literary movement. These scientists had an impact on the social life. The most important ones are Ikhwan El Safa. The ulemas partrons of the four sects of Islam, etc... The Ulemas had no; other functions but science with some few exceptions. Most of them lived in luxury and prosperity as compartd with the life of the rest of the population. and they had a special costume, particularly the judges and the religious scientists.

Second : The merchants : Most of them were moslems with the exception of a minority which consisted of "Ahl El Zimma" and was mainly jewish. The influence of the merchants expanded in the third and fourth centuries as a result of the excess of luxury in the higher strata of the population. The merchants were socially to belong to the ordinary people even by scientists and literary men. They had an influence on society by creating and developing markets particularly in the region of El Karkh. Their standard of living was relatively high.

their treatment as was the case during the reigns of El Rashid, El Mutawakel and El Muktader.

Third : El-Sabia : Historians differed in explaining their creed. Some said that the origin of their worship was the sanctification of stars and planets. Others said that they followed the religion of Noah and they are lying. Another assumption was that they followed the religion of Sabi Ben Shit ben Adam in worshipping the planets secretly but ostensibly avowing christianity.

There were two groups of Sabia: The Sabia of Harran and the Sabia of Iraq. The first worshipping the planets and the second were the followers of John the Baptist Known in Arabic references under the name of Yahya Ibn Zakaria. They inhabited the banks of rivers to facilitate the rite of baptism in a running water. They were called "Moghtassala" and "Bataihia" because they lived in the Bataih of Iraq.

The Sabia had many feasts each with special rites, traditions, and teachings. Their influence on society was not great because they were not numerous and did not mix with people of other religions.

Fourth : The Magi : They were the followers of Zaradhustra. They adopted the fire houses as their temples. They moved from Persia to Iraq, and they became acknowledged as " Ahl El Zimma" in the fourth Hijri century just like the christians, Jews and Sabia.

The Magi had an influence all over the Islamic state particularly in Iraq where many religious sects existed. The Abbaside society was markedly influenced by the Magi

(B) Religious sects :

First: "Al Ashraf" : They took pride in their kinship to the Prophet. They formed "Beni Hashem" group. from the Abbasides and the Alawiins. They were supporting the Caliph. Among the functions which were confined to the class of "Al-Ashraf" (the nobility) was "El Nikaba", the representation of the Caliph as Emirs of pilgrimage, and judiciary functions.

The Asharfs of Beni Hashem received salaries from the government which amounted in total to a thousand dinars monthly.

Second : Ahl El Zimma : They enjoyed a great deal of religious tolerance. They observed their rites in complete freedom and participated with Moslems in carrying out the functions of the state and in taking up free professions.

Christians inhabited Baghdad and Tacrete, Jews were concentrated in Baghdad, and the Sabi'a inhabited the Southern part of Iraq.

A religious chief was appointed by a pledge from the Caliph for the Christians and for the Jews. The social relations between Moslems and "Ahl El Zimma" were good in general. The Caliphs sometimes employed christians in government posts. El Mo'taded conferred on them a Secretariat of State. In the second half of the fourth Hijri century the christians occupied some high posts such as the post of Minister during the reign of Beni Boweh. However, these relations became sometimes tense when the Caliphs were more severe in

Five: The Slaves: In Iraq there were two kinds of slaves, the white and the black, for which large markets were created and supervised by traders called "El Nakhassin" in Baghdad. In the Abbaside Society they worked as servants in houses and palaces or as guards, in which case, they were called "Farrashiyin". Sometimes they tilled the land. The black slaves were called "Zing" and the other category of "Nabt" were called "Aknan". From among the slaves, some became renowned as commanders attained fame as singers such as Oreib, and Sharia. Others were well known politicians such as "El Khaizaran", others as politicians such as "El Khaizaran", "El-Sayeda" "El Sayeda" monther of El Moktader, Kabiha wife of El Motawakel, and other mothers and Wives of Caliphs.

The male slaves were of two categories: the Mameluks and the Eunuchs.

Six: "El Zing": They inhabited El Basra and were known in the Abbaside society for their poverty and destitution. They were characterized by hard work and obedience to the land owners. This element was, therefore, ready to respond to the call for any revolt against the landowners to emancipate itself from slavery. Thus, "El Zing" responded to the call of Ali Ben Mohammed Ben Ahmed who alleged that he was a descendent of Imam Ali. All historians denied such an allegation. The number of the rebels increased with the passage of time and many Bedouins from Basra joined them and staged a revolution against the government until Caliph El Mu'tamed came to power and by means of his capable and couregeous brother El Mouwafak, was able to fight "El Zing" and defeat them in 270 H.

as Aboura'a and the Ghadir Khem feast.

Third: The Arab element lost its influence, and prestige during the period of the Persian & Turkish influence. This led to a number of revolutions and revolts because the resentment of the Arabs, represented by some of the Arab tribes, increased, and under the reign of El Mo'tassem culminated in a revolution against the Caliph.

As for the urban Arabs, they formed the state of Beni Hamdan in Mosul. They were instrumental in the preservation of the Arab element in the Abbaside society. Some of them inhabited the cities of Basra, Kuffa and Baghdad.

Although the influence of the Arab element was weak, Arabs however, preserved their Arab traditions and played an important part in facing the heretic and sectarian trends. The noble class had an impact on the preservation of the Arab character and spirit during the third and founrth Hijri centuries.

Fourth: The Greeks: They came as war captives from the Byzantine state and were considered as white slaves. They inhabited the region of El Shammassieh, in the Northern part of Baghdad, and built a church for themselves which was known by the name of Dar-el-Room. They had an influence on the social life particularly after they started to spread in the palaces of the Caliphs and statesmen. They became particularly powerful during the reign of El-Muktader, because he owned a great number of Greek Mameluks. The Greek woman slaves were characterized by overwhelming beauty and excellence in singing and music. Some of them reached a high position in the palaces of the Caliphs and the rich people.

The Turkish element had a considerable impact on the internal affairs of the State. The confiscation of peoples funds increased under their rule to the extent that confiscated funds became a main source of finance in case of need. The Turks ware often inciting communal conflicts between the Sunnis and Shiis.

Besides, there were Turkish woman slaves renowned for their beauty. The palaces of Caliphs, princes and statesman were full of these woman slaves. Some of the Caliphs and great statestmen even married them. These Turkish slaves had a great influence on social life.

Second : The Persian element. It pervaded the Abbaside society since the first Abbasides started to spread their call at the end of the Umayad regime. Both the Arabs and Persians gained a lot as a result of their interrelations. The Arabs were very receptive to learning, the Persians were the inheritors of a great traditional civilization which left its impact on the Abbaside society particularly in its first epoch. With the advent of the third Hijri century the power of Persians declined and the influence of the Turkish element increased. The Persians reintegrated their sovereignty and domination in the person of the Boyas at the beginning of the fourth Hijri century.

The impact of Persians was evident in many fields such as the construction of palaces, the design of dresses, the proliferation of new kinds of food, the introduction of luxury means, the revival of singing and excess drinking. The Persian element also had a great impact in making the Abbaside Caliphs and their statesmen celebrate the feasts of Neiruz and Carnival, both being Persian feasts, in addition to the celebration of other occasions such

3) Narrator's Meetings.
4) Preachers' Meetings.

Part IV :

Public Life in Urban Areas in Iraq :
1) Traditions and Manners.
2) Feasts, Celebrations and Carnivals.
3) Women and their impact on Society.

Part I : covers the :

(A) Racial Elements which are :

First : The Turks. These have shown up in great number in the society of the first Abbassides near the end of the second Hijri Century. They were brought by El Mo'tassem from Samarkand, Farghana, Ashrusna, Saghd and Shash. Their number was increasing at the beginning of the third Hijri century and El Mo'tassem formed an organized army from them to support his Caliphate. The factors which urged El Mo'tassem to use and depend on the Turks are numerous such as the ambitions of the Persian element, the fact that El Mo'tassem's monther was a Turk and many of his habits were Turkish. El Mo'tassem established the Turks away from the markets, prevented them from mixing with people, and fixed special salaries for them. Thus, they became a threat to the Agrif to lead a revolution against El Mo'tassem.
Agif to led a revolution against El Mo'tassem.

At the beginning of the third Hijri century, the influence of Turks increased to the extent that Caliph El Mutawakil resisted them until he was killed for this reason. He was the first Abbasside Caliph to be killed by the Turks.

SUMMARY

The most famous contemporary, academic institutions and universities have devoted, considerable attention to the study of social conditions of various environments. Therefore, I thought it appropriate to make the social conditions, in the light of my perception of their significance to studies modern history, a subject and material therefore, and to take the period covering the 3rd and 4th Hijri centuries to serve as temporal basis for my tsudy, in the course of preparing a valuable scientific thesis, because it constituted one of the most significant and outstanding epochs of Iraq's history ever since the Abbaside era.

Despite the dearth of information and historical sources I was able to prepare the material needed for my thesis which is divided into four parts:

Part I:

1) Racial elements.
2) Religious Sects.
3) Social Denominations.

Part II:

Aspects of the luxurious life of the Caliphs and the Senior Statesmen, and their effects on the Iraqi Society.

1) Luxurious life of the Caliphs and the Senior Statesmen.
2) Effect of Luxurious life on the Iraqi Society.

Part III:

Singing, Music and Social Meetings:

1) Evolution of Singing and Music.
2) Singing and Entertainment Meetings.

CONTENTS

"A Thesis (with distinction) presented to Cairo University in partial fulfilment of the requirements for the degree of Ph. D. of Arts" . 1968.

To My Parent and My Husband

SOCIAL CONDITIONS

IN IRAQ

During the Third and Fourth Hijri Centuries

Maleeha Rahmatullah

B.A. (University of Baghdad), M.A. Islamic History
(Pennsylvania University), Ph.D. (Cairo University).
Ass. Prof. of Islamic History, College of Art University Baghdad

يطلب من المكتبة العصرية ـ بغداد ـ العراق
Modern Library Baghdad, Iraq

Supported in part by a grant from the University of Baghdad, Iraq

SOCIAL CONDITIONS

IN IRAQ

During the Third and Fourth Hijri Centuries

Dr. Maleeha Rahmatullah

يطلب من المكتبة العصرية ـ بغداد ـ العراق

Modern Library Baghdad, Iraq

Supported in part by a grant from the University of Baghdad, Iraq